

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCCEN



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث و معاصر

الموضوع:

شعر الإستغاثة في العصر الأندلسي نونية أبي البقاء الرندي
- أنموذجا -
دراسة نصية تناسية

إشراف:
بشير عبد العالي

إعداد الطالب (ة):
شوميشة بومدان
رُفيدة نقادي

لجنة المناقشة		
رئيسا	شافع بلعيد نصيرة	أ.الدكتور
ممتحنا	رحماني ليلي	أ.الدكتور
مشرفا ومقررا	بشير عبد العالي	أ.الدكتور

العام الجامعي: 1441-1442هـ/2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وعرفان

قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لهؤلاء ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفنا بإشرافه على مذكرة بحثنا الأستاذ الدكتور: **محمد العالي بشير**، الذي لن تنفي العروفه لإيفائه حقه بصبره الكبير علينا، ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام واستكمال بحثنا.

إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وخاصة عميد كليتنا الأستاذ الدكتور: **عليان محمد** كما نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا إلى كل طلبة كلية الآداب واللغات، وخاصة زملائي وزميلاتي في قسم السنة الثانية ماستر، تخصص: أدب حديثه ومعاصر.



إهداء

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة النمل [19].

فالحمد لله رب العالمين الذي وقفتني في إنجاز هذا العمل المتواضع والذي أهدي ثمرته:

إلى

أعز ما أملك في هذه الدنيا أُمِّي الغالية **"فاطمة الزهراء"**، سرّ سعادتي والتي أنارت دربي وسهرت الليالي على راحتي ودعمتني في مسيرتي، الحنونة، الطاهرة الوفية، التي لا تفي الكلمات حقها حفظها الله ورعاها.

إلى

أبي العزيز **"ديوان"** الحنون الذي ناضل من أجلي، والذي هبّ لي كل الأسباب للتّجّاح وسعى جاهداً في تربيّتي وتعلّيمي حفظه الله ورعاها.

إلى

فكرة عيني وسندي أخي الغالي الحنون **"محمد أنيس"** وإلى أخواتي مصدر سعادتي **"أسماء"** و **"خلود"** حفظهم الله وأسعدهم، وإلى خالي وزوجته اللذان ساعداني في مذكرتي، وإلى كلّ عائلتي سواءً من قريب أو من بعيد أهدي هذا العمل المتواضع.

إلى

من شاركتني هذا الجهد صديقتي وأختي الغالية، الطيبة **شوميشة**.

الطالبة زفيدة نقادي

إهداء

إلهي

لا يطيب الليل إلا بشكرك ، و لا يطيب النهار إلا بطاعتك ...و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك ...و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك ، و لا تطيب الجنة إلا برويتك الله جل جلاله .

إلى

الفقيد الراحل الذي سرقتني مني الحياة و تركني برعومة في عمر الزهور ...إلى الذي لم أشبع من حنانه و من رؤيته ...إلى الذي لم يرى نجاحاتي...إلى الذي تمنيت أن يكون بجانبني و يفرح معي يوم تخرجني...والدي رحمه الله.

إلى

أجل هدية رزقي بها الرحمن...إلى غاليتي و منبع قوتي و أمني و أمانتي و سندي في الحياة...إلى التي كلما سمعت كلمة حب أو حنان تذكرت وجهها الملائكي...إلى التي جعلتها الظروف أن تمنحني دور الأب قبل الأم...إلى التي ضحكت بأعلى ما تملك من أجلي و صبرت معي و شجعنتني على المضي قدما.. و كانت و لا زالت لي عوناً و سنداً في الحزن قبل الفرح و في المرض و الصحة فقط من أجل أن تمنحني كل ما أريد و لكي تعوضني و لا تشعرني بالنقص...إلى التي تبعتني خطوة بخطوة طوال مشواري الدراسي و الفضل يرجع لله عزوجل و لها لما أصبحت عليه الآن...إلى التي أصمد و أصر و أثار و أبذل قصارى جهدي فقط من أجل رسم البسمة على شفثتها و إسعادها..والدي...التي لا تستطيع آلاف الكلمات و الجمل إيفائها حقها أعز ملاك على قلبي أطل الله لنا في عمرها و شفها الله من مرضها وجزاها عنا خير جزاء في الدارين.

إلى

التي رعنتني وحمّنتني كأم لي...إلى التي كلما أردت شيئاً وفرته لي و جعلته بجانبني...إلى التي لم تفارقني ولو للحظة سواءاً في حزني أو مرضي أو لحظة فرحتي...إلى التي رفعت معنوياتي كلما شعرت بضعف...**أختي**

الوحيدة شريفة.

إلى

التي اعتبرها مثلي الأعلى و قدوتي في دراستي...إلى التي كلما تظلمت الطريق أمامي لجأت إليها فأنارته لي...إلى التي كلما دب اليأس في نفسي زرعت فيا الأمل لأسير قدما...إلى التي كلما سألت عن معرفة زودتني بها، و كلما طلبت كمية من وقتها الثمين وفرته لي رغم تعبها أثناء عملها و مسؤوليتها المتعددة...إلى التي كانت و لا زالت معي منذ أول وهلة التحقت بها بالجامعة و لم تبخل عليّ بنصائحها القيمة...**أستاذتي و أمي الثانية**

قطاية.

إلى

زميلتي في الدراسة و في المذاكرة...إلى التي تقسمنا سويا تعب و جهد إتمام بحثنا و عملنا المتواضع...**صديقتي**

وأختي الغالية زفيدة.

إلى

كل من ساهم في إتمام هذا العمل المتواضع سواءاً من قريب أو من بعيد و لو بالكلمة الطيبة، و إلى كل من تسعهم ذاكرتي و لا تسعهم مذكرتي.

الطالبة شوميشة بومدان

مقدمة

بسم الله الفتاح العليم والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

إنَّ أول ما يخطر ببالنا عند سماع كلمة الأندلس الحنين إلى الماضي والتذكر أنها كانت مكانا للإسلام والعلم والمعرفة، لكن كان ذلك قبل الاستيلاء عليها من قبل المسيحيين الإسبان، فلقد عانى المسلمون وظلمهم وبطشهم حتى دفع البعض منهم إلى إخفاء إسلامهم فسموا "الموريسكيين".

ويسبب هذه الأوضاع الأليمة والصعبة التي حلت بالأندلس كتب ونظم العديد من الشعراء حول شعر الإستغاثة وقد خصصوا هذا الشعر لطلب الغوث والنجدة والبكاء على المدن الأندلسية وراثتها كقرطبة وغرناطة وإشبيلية، ولعل من أبرز الشعراء الذين نظموا في شعر الإستغاثة أو الاستصراخ: "ابن العسال" و"ابن خفاجة" و"ابن الآبار"، و"أبي البقاء الرندي"، ولم يجد هؤلاء الشعراء حلاً أو وسيلة أفضل من التعبير بشعرهم، فكانوا يعبرون به عما يجول في مكنوناته وأعماقهم من حزن وأسى عميق.

من هذا المنطلق ارتأينا أن يكون موضوع مذكرتنا على قصيدة من القصائد الفريدة التي نظمها الأندلسيون في شعر الإستغاثة، وقد وقع اختيارنا على نونية "أبي البقاء الرندي" تغمده الله برحمته الواسعة، والتي تُعد من أروع القصائد التي قيلت في شعر الاستغاثة في الأندلس إضافة إلى أسلوب الشاعر السهل والبسيط، وعند قراءة هذه القصيدة ندرك أنها تعبر عن حالنا اليوم وعمّا نعيشه في وقتنا الحاضر، والشاعر رثى فيها مدن الأندلس واستنجد واستغاث، ولكنها لم تنل حظها من الدراسة فالكتب والمذكرات التي تحدثت عن النونية قليلة جداً.

وقد تمثلت إشكالية بحثنا في محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة التي تفرضها طبيعة مثل هذه الدراسات ومنها مثلاً: ما هو شعر الإستغاثة؟ ولماذا ظهر في الأندلس؟ وما هي أسباب ظهوره؟ وأين يتجلى التناص في نونية "أبي البقاء الرندي"؟

إنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ستجدها ماثورة في ثنايا هذه المذكرة، وقد استدعت طبيعة الموضوع: الاستعانة بالمنهج التاريخي، فقد استمدنا من خلاله حقائق وتاريخ الأندلس وكذلك المنهج الوصفي عندما قمنا بدراسة وتحليل القصيدة.

أما عن هيكله بحثنا فقد جاءت على النحو الآتي: مدخل وفصلين يسبقهما مقدمة وتذييلها خاتمة، ففي المقدمة تحدثنا عن موضوع بحثنا وإشكاليته والخطة المتبعة وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها.

وتحدثنا في المدخل والذي جاء عنوانه: **شعر الإستغاثة في العصر الأندلسي**، عن مفهوم شعر الاستغاثة وأسباب ظهوره وأهم خصائصه وأبرز الشعراء الذين نظموا فيه.

وعنوان الفصل الأول: **ضبط المصطلحات** وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث؛ تناولنا في المبحث الأول: شعر الاستغاثة، وخصصنا المبحث الثاني: لتحديد مفهوم النص، وحاولنا في المبحث الثالث ضبط مصطلح التناص.

وحمل الفصل الثاني والأخير عنوان: **دراسة نصية تناصية لنونية أبي البقاء الرندي**، وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين؛ المبحث الأول: خصصناه للدراسة النصية للقصيدة، أما المبحث الثاني: فقد اقتفينا فيه الأشكال والأنواع التناصية للقصيدة. ويعد هذا الفصل الأهم في مذكرتنا لأنه متعلق بالشق التطبيقي من بحثنا.

وختمنا بحثنا بخاتمة تحدثنا فيها عن أهم النتائج المتوصل إليها، يليها ملحق وقد خصصناه للتحدث عن الشاعر وحياته وشعره، ونص القصيدة التي درسناها.

وكأيّ بحث من البحوث العلمية، فقد اعترض بحثنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل أهمها:

- قلة المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع بحثنا فلم نجد إلا القليل من الكتب، وحتى ديوان الشاعر لم نعثر عليه لا في المكتبات ولا حتى بصيغة PDF، لذلك نسخنا القصيدة من مصدر: **نفتح الطيمن غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني**.

- ضيق الوقت لأننا بدأنا إنجاز المذكرة في شهر مارس وأهيننا بحثنا في غضون ثلاث أشهر، وهذا بسبب جائحة كورونا "اللهم ارفع عنا الوباء والبلاء".

- بطء وضعف شبكة الأنترنت.

وقد اعتمدنا أثناء إنجاز مذكرتنا على مجموعة من المصادر والمراجع نكتفي بذكر أهمها:

1. لسان العرب لابن منظور.
 2. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني.
 3. الاستغاثة في الشعر الأندلسي لأبي الوفا حمادة عطيفي.
 4. تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس.
- وفي الختام لا يسعنا إلا أن نجدد شكرنا وامتناننا لأستاذنا الفاضل "بشير عبد العالي" على مجهوداته الجبارة وعلى نصائحه القيّمة التي لا تقدر بثمن والتي ساهمت في إنجاز مذكرتنا.

شوميشة بومدان

رؤيدة نقادي

تلمسان يوم 27 ماي 2021



مدخل: شعر الإستغاثة في العصر
الأندلسي

مدخل: شعر الاستغاثة في العصر الأندلسي:

أولاً: الأندلس:

1- سقوط الأندلس:

لقد حكم الأندلس القوط الغربيون قبل دخول الإسلام، حيث كان فيها الجهل والتعفن، ثم بعد ذلك قام بفتحها "طارق بن زياد"، بعد انتصاره على "ابن دريق"، في وادي لكّة، حيث مات فيها معظم جيش "ابن دريق"، واستشهد بعض المسلمين وبقي منهم القليل، ودخل الإسلام الأندلس سنة ثلاثة وتسعين هجرية (93هـ)، ولقد مرّت فترة الحكم في بلاد الأندلس بعدّة حقبة تاريخيّة؛ عصر الولاء حيث كانت تابعة للخلافة الأموية، ثم بعد ذلك عصر الإمارة الأموية، عصر الخلافة الأموية والدولة العامرية، عصر ملوك الطوائف وهو العصر الذي انتشر فيه التفكك والانهيار والصراع، ثمّ عصر المرابطين، عصر الموحدين، وآخر دولة قامت مملكة غرناطة "بنو الأحمر"، إلى أن سقطت سنة ثمانمائة وسبعة وتسعين للهجرة، وقد استمرّ الإسلام في الأندلس 800 ثمانمائة عام، ثم بعدها بدأت محاكم التفتيش والصراع والمعاناة مع النصارى.

(بدأت محاكم التحقيق، ودواوين التفتيش وبدأ التعذيب الوحشي، الذي لم يمر بتاريخ البشرية كهذا التعذيب أبداً، أشكال وألوان من التعذيب لم تصل إليها البشرية حتى الآن، كانوا يلاحقون المسلمين ملاحقة، ويلاقون منهم، ويلاقي المسلمون ألواناً من العذاب والوحشية تقشعّر لها الأبدان إذا علموا أنّ أحداً اغتسل ليلة الجمعة عرفوا أنه مسلم، ففضوا عليه إذا وجدوه لبس الزينة في يوم العيد).¹ اعتماداً على هذا القول ندرك أنّ المسلمين كانوا يعاملون من قبل الإسبان معاملة قاسية وبيطش ووحشية خاصة عندما يعرفون أنّهم مسلمون من خلال الاغتسال ليلة الجمعة أو لبس الزينة يوم العيد.

¹ أنظر، الشيخ ناصر بن سليمان العمر، سقوط الأندلس، دروس وعبر، مقال إلكتروني مدون في موقع، www.almoslim.net، ص 4.

لقد استخدم الإسبان المسيحيون جميع ألوان التعذيب والبطش والتنكيل على ثلاثة قرومتواصله، حتى محوا المسلمين من الوجود، وقد يكون هذا الأمر مستغرباً ولكنّها الحقيقة، فقد كانوا

يأتون بالمسلم ويعذبونه، حتى إنهم يأتون ويخلطون لحمه وعظامه، ولا تميّز بين اللحم والعظام بعد عذابٍ شديد يستمرّ أيّاماً وأشهرًا، وكانوا أيضًا يتفنّنون في تعذيب المسلمين، ومن نماذج تعذيبهم على سبيل المثال، نموذج "العروسة": صورة فتاة جميلة مصنوعة من البرونز أو من النحاس، موضوعة في تابوت، ويوضع ويخرج منها خناجر على شكل خناجر، ويقال للمسلم هذه زوجتك، فيلقى في التابوت عليها، ويغلق عليه التابوت والخناجر تمزق أمعاءه وأحشاءه. كما كانوا يأتون بالمسلم ويقطّعون أوصالاً وهو حيّ، ييدؤون من قدميه حتى يصلوا إلى وسطه، ثم ييدؤون من أطرافه، ثم رأسه حتى ينتهي وهو يتأوّه ويتعذب.¹ ويلاحظ أنّ المسلمون عانوا من التعذيب بأشكاله على مدى ثلاثة قرون متواصله.

وبعد ثلاثة قرون من هذا الأمر، قضى الإسبان على عدد من ملايين المسلمين بهذه الطريقة وقد اضطر بعض المسلمين أن يعلنوا التنصّر، وأن يربّوا أبناءهم على النصرانية علناً، ولكنهم يخفون الإسلام، وهؤلاء الذين سُمّوا "بالموريسكيين"، ولكن الإسبان تابعوهم متابعة دقيقة، حتى إنهم كانوا يفتشون عن عورة الصبي أو الرجل فإن وجدوه محتوناً علموا أنه مسلم، فيبطشون بأهله وبزوجته وبأبنائه بأشد أنواع البطش والفتك.²

نستنتج مما سبق أن المسلمون تم القضاء عليهم خلال ثلاثة قرون مما دفع البعض منهم أن يصبح نصرانيًا، ولكنهم كانوا يخفون إسلامهم ولذلك سُمّوا "بالموريسكيين".

وقد نجد أثرًا للمسلمين في كل البلدان التي عاشوا فيها، أما في إسبانيا فإن أثرهم كان ضعيفًا وكان هذه الدولة لم يعيش فيها الإسلام ثمانية قرون متلاحقة، وأثناء هذه المأساة، تباكى الكثير من

¹ الشيخ ناصر بن سليمان العمر، سقوط الأندلس دروس وعبر، ص 4.

² المرجع نفسه، ص 5.

المسلمين قبل سقوط الأندلس، ومن أشهر الشعراء الذين بكى المسلمين "أبوالبقاء الرندي" في قصيدته المشهورة:¹

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * * * فَلَا يُغَرَّرُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولُ * * * مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ * * * وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ.²

2- أسباب سقوط الأندلس:

دخل الإسلام إلى بلاد الأندلس على يد "طارق بن زياد"، و"موسى بن نصير"، عام ثلاثة وتسعين هجرية، وانتشر فيها خلال ثلاث سنوات فقط انتشاراً عظيماً، وبدأ يزيداد ويقوى، وقد مرّ تاريخ الأندلس بعدة حقبة تاريخية ابتداءً من عهد الولاة، إلى عهد الخلافة، فالطوائف. ويرى المؤرخون أن بداية الانحدار في تاريخ الأندلس كان في عهد الطوائف، ثم تلاه عهد المرابطين الموحدين أو عهد المرابطين ثم عهد الموحدين، وبعد ذلك قامت مملكة غرناطة دولة "بني الأحمر"، واستمرت في الوجود حتى سقطت في حدود عام ثمانمائة وسبعة وتسعين هجرية، أي بعد ثمانمائة عام وزيادة على بقاء الإسلام في هذه البلاد.³ ومن الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس نذكر:

➤ **ضعف العقيدة والانحراف عن المنهج:** لما ضعفت العقيدة، انخرق المسلمون عن المنهج وحلّ بهم ما حلّ، يقول أحد الشعراء في هذا المجال:⁴

بَعْدَنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ * * * وَجِئْنَا بِبَعْضٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنْتْ دُفْعَةً * * * كَجَهْدِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُتُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فَأَصْبَحْنَا عِظَامًا * * * وَكُنَّا نَقُوتُ فَهِيَ نَحْنُ نَقُوتُ⁵

¹ أنظر؛ المرجع نفسه، ص نفسها.

² أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق؛ إحسان عباس، المجلد 4، دار صادر بيروت، 1968م ص 487.

³ الشيخ ناصر بن سليمان العمر، سقوط الأندلس دروس وعبر، ص 7.

⁴ المرجع نفسه، ص 8.

⁵ لسان الدين بن الخطيب التلمساني، الديوان، تحقيق؛ محمد مفتاح، المجلد 1، دار الثقافة، ص 26.

➤ التحالف مع النصارى والخضوع لهم ومجاملتهم: يقول أحد المؤرخين وهو "عبد الله عنان": يذكر ويبيّن هذه الحالة وكان يتحدث عن "ابن هود"، وكانت تعتور جهوده نفس المثالب القديمة التي كانت تصدع دائماً من جهود زعماء الأندلسيين، والتي تتلخص في مصانعة النصارى، ومداراتهم ومساوماتهم على حساب المصالح الإسلامية.¹ يلاحظ مما سبق أنّ معاملة النصارى والتّحالف معهم أثّر عليهم سلبيّاً وأدّى إلى سقوط دولة الأندلس.

خذ مثلاً من ذلك، قصّة أحد الولاة، واسمه "أبوزيد"، هذا الرجل ثاروا عليه أهل بلنسية، فلما أثاروا عليه وأرادوا خلعه قام وعقد لواء وذهب إلى ملك النصارى "خاينوي" واتّفق معه وعقد معه معاهدة وكان من هذه المعاهدة أن يقوم "أبوزيد" ويعطي ملك النصارى جزءاً من بلاد المسلمين ويتنازل عن جزءٍ منها، وأن يقدّم الجزية لملك النصارى.² نستنتج من هذا المثال أنّ "أبوزيد" عندما ثاروا عليه أهل بلنسية لم يجد حلّاً إلا بالتنازل عن جزءٍ من الأندلس لصالح ملك النصارى "خاينوي".

ونجد مثلاً آخر "ابن الأحمر" الذي عقد معاهدة مع ملك النصارى "ملكقشتالة"، معاهدة غريبة مخزية مبكية، نقول لا غرابة إذا سقطت الأندلس، إذا كان الحكام على مثل هذا المستوى من ضعف الولاء والبراء ومن المهادنة لأعداء الله: فقد اتّفق معه على أن يحكم "ابن الأحمر" مملكة غرناطة باسم ملك قشتالة، وفي طاعته وأن يؤدّي له جزية سنوية.³ اعتماداً على ما سبق أنّ "ابن الأحمر" عقد معاهدة مخزية وهي أن يحكم غرناطة باسم ملك قشتالة وهذه المعاهدة تدل على ضعف وانحطاط مستوى الحكام.

هذه نماذج مخزية، وسبب من الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس، لأن من تنازلوا على أملاك الأندلس لم يعملوا بقوله تعالى⁴: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

¹ الشيخ ناصر بن سليمان العمر، سقوط الأندلس دروس وعبر، ص 8.

² المرجع نفسه، ص نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 9.

⁴ انظر، المرجع نفسه، ص 10.

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ¹.
ويلاحظ أن ضعف العقيدة والانحراف عن المنهج والتحالف مع النصارى، والخضوع لهم ومجاملتهم يعدّ من بين الأسباب التي أدّت إلى سقوط الأندلس.

➤ **الانغماس في الشّهوات والركون إلى الدعة والترف:** يقول المؤرخ النصراني: «العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال في الشّهوات»².

فهذا نصراني قد اعترف بالحقيقة، فالعرب لجأوا إلى المعاصي ونسوا الأهداف التي جاءوا بها، يقول "شوقي أبو خليل": «والحقيقة تقول إن الأندلسيين في آخر أيامهم ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم وناموا في ظل ظليل من الغنى الواسع والحياة العابثة والمجون، وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر فذهبت أخلاقهم كما ماتت حميتهم وحمية أبنائهم البواسل»³.

ونضرب بعض الأمثلة على هذا الأمر فقد ذكر عدد من المؤرخين أن أسباب مقتل "ابن هود" أنه تنازع هو ونائبه ووزيره في المرية "محمد الرميمي"، بسبب النزاع على جارية نصرانية كل منهم يريد لها لنفسه، والعدو يتربّص بهم، فقام الوزير ودسّ من قتل ملك المسلمين أحد ملوك الطوائف "ابن هود"⁴. يتضح لنا من خلال ما سبق أن هذا السبب كان من أبرز الأسباب التي جعلت الأندلس تسقط لأن العرب ابتعدوا عن الأخلاق واتجهوا إلى طريق المعاصي والمجون.

➤ **إلغاء الخلافة وبداية عهد الطوائف:** عهد الطوائف عهد التفكك، وعهد من السنوات الصعبة من الفرقة والتنافس، والتشتت والضياع، بدأ عندما أعلن "أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور" عن إلغاء الخلافة ويكفي أن نعلم أنها بلغت دول الطوائف في فترة من الفترات بلغت سبعا وعشرين طائفة، أو إمارة أو دويلة تتنافس فيما بينها، بعدما كانت الأندلس دولة واحدة وموحّدة

¹ سورة المائدة، الآية 51.

² الشيخ ناصر بن سليمان العمر، سقوط الأندلس دروس وعبر، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص نفسها.

⁴ المرجع نفسه، ص 11.

تحوّلت إلى 27 سبعة وعشرين دولة.¹ يجزم المؤرخون أن التفكك والتشتت والضياع الذي ساد في عهد الطوائف كان سببا رئيسيا في سقوط الأندلس.

الْقَاب مَمْلَكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا * * * كَالِهَرِ يَحْكِي انْتِفَاحاً صَوْلَةَ الْأَسَدِ²

ثانيا: شعر الإستغاثة في العصر الأندلسي:

1- معنى الإستغاثة:

إذا ما عدنا إلى قواميس اللغة العربية القديمة منها والحديثة نجد أنّ مادة (غوث)، قد اتخذت الدلالات التالية:

"نجد في لسان العرب لابن منظور في مادة غوث: وحكى ابن الأعرابي: أجاب الله غيائه والغوْثُ بالضمّ: الإغاثة، وغوْثُ الرَّجُلِ، واستغاث: صاح: واغوْثاه. والاسم: العوْثُ والعوْثُ والعَوَاثُ".³

وتعني الإعانة عند الشدة والنجدة والفرج " وفي القرآن الكريم وردت كلمة " تستغيثون " ومعناها: يطلبون الغوث والإعانة من الله تعالى، والنصر على العدو،⁴ لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾.⁵

ويقوم شعر الإستغاثة في الأندلس على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي في المحل الأول وهم المسلمون في شتى أقطارهم، كي يهبوا يباعث الأخوة الإسلامية لنجدة إخوانهم بالأندلس ومد يد العون لهم في جهادهم ضد أعدائهم من نصارى الأندلس الذي أطمعهم ضعف ملوك المسلمين

¹ المرجع نفسه، ص14.

² المرجع السابق، ص نفسها.

³ ابن منظور: لسان العرب، الطبعة 1، المجلد 2، دار صادر، بيروت، 1990، م، ص 174.

⁴ أنظر، أبو الوفا حمادة عطيبي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، (د.ط)، (د.ت)، ص 635.

⁵ سورة الأنفال، الآية 9.

بها فراحوا يضاعفون من غاراتهم على مدنهم، ويهددون أهلها بالاكتماس الشامل.¹ ويلاحظ أنّ شعر الإستغاثة ظهر في الأندلس من أجل نجدة المسلمين ومساندتهم.

2-دوافعها:

منذ عصر أمراء الطوائف سنة ثلاثمائة وتسعة وتسعين 399 هـ، بدأت الدولة الأندلسية تتفكك وتنقسم إلى دويلات وأندلسيات، وقد أدّى ذلك إلى الفرقة والوهن والضعف، والصراع بين هذه الإمارات، ومن ثمّ انتهز المسيحيون فكرة استرداد الأندلس من المسلمين.² نلاحظ مما سبق أنه منذ انقسمت الدولة الأندلسية إلى ملوك وطوائف بدأت تضعف بحيث خلق هذا التقسيم صراع بين هذه الملوك حول الحكم، وبالتالي استغل المسيحيون هذه الفرصة للتفكير في استرجاع الأندلس من المسلمين.

وقد اشتد الصراع بين العرب المسلمين والفرنجة من جهة، وبين العرب المسلمين بعضهم مع بعض من جهة أخرى، والأدهى من ذلك أن بعض الأمراء استعان بالفرنجة ضدّ إخوانه المسلمين والبعض الآخر دفع الإتاوات إلى أعدائهم من نصارى الشمال، وقد مرت الأندلس بأحداث كثيرة دامية حتى انتزعت من المسلمين وخرجوا منها سنة ثمانمائة وثلاثة وتسعين 893 هـ.³ ونستنتج مما سبق أن هذا الصراع خلق دماراً كبيراً في نفوس المسلمين وانتهى بسقوط الدولة الأندلسية.

وقد كان لتلك الأحداث الأليمة التي مرّت بها الأندلس آثار كبيرة، وجراح عميقة في نفوس الشعراء، وإثارة عواطفهم، فأخذوا يكتبون شعر الاستغاثة، طلباً للعون والغوث، والنجدة والنصرة واستنهاض النخوة العربية، والعزائم الإسلامية، واستثارة النفوس الأبية للاستجارة من الحملات الصليبية الضارية.⁴

¹ أبو الوفا حمادة عطيفي، الاستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 634.

² المرجع السابق، ص 636.

³ المرجع نفسه، ص 637.

⁴ أبو الوفا حمادة عطيفي، الاستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 637.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن الدولة الأندلسية بدأت تتفكك منذ عصر الطوائف، مما أدى إلى الضعف والصراع، وقد انتهز المسيحيون فكرة استرداد الأندلس منهم، وبسبب هذه الأحداث الأليمة والحزينة التي أثرت على نفسية الشعراء جعلتهم يكتبون شعر الاستغاثة من أجل العون والنجدة وتمثل دوافع الاستغاثة في الشعر الأندلسي فيما يلي:

➤ **الصراع بين أمراء الطوائف:** واستعانة بعضهم بالفرنجة ضد إخوانه المسلمين وانغماس بعضهم في اللهو وعدم تفكيرهم في مصير الدولة الأندلسية،¹ يقول الدكتور "شوقي ضيف": «أخذت قصائد الاستنفار والاستصراخ، وطلب الغوث والعون تتكاثر في الأندلس منذ عصر الطوائف، إذ انقسمت الأندلس الشامخة إلى أندلسيات ودول وإمارات كثيرة، وأخذ أولئك الأمراء يعيشون للهو والقصف، وقلما فكروا في مصير الأندلس وكثير منهم كانوا يحملون السلاح ويسددونه إلى صدور جيرانهم الأندلسيين المسلمين، وما يلبثون أن يغمدون حين يشهر الحرب على أحد هؤلاء الجيران أعداؤهم من نصارى الشمال»².

نستنتج مما سبق أن بعض الأندلسيين قد اشتغل بكل ما هو سلبى وغير أخلاقي كاللهو، ولم يفكروا في مصير الأندلس، وقد ظهرت بقوة وبكثرة قصائد الاستصراخ في عصر الطوائف من أجل طلب العون.

وقد صوّر "أبو طالب عبد الجبار" فساد حكم أمراء الطوائف وعيشهم في اللهو والعبث وإهمالهم في الذود عن البلاد، وتعاونهم مع أهل الصليب، فقال:³

ثُمَّ تَمَادَتْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ * * * تَخْلِفُهُمْ مَنْ أَلْهَمَ حَوَالِفُ
دَانَتْ بِدِينِ الجُورِ وَالْعُدُولِ * * * إِذْ سَلَبَتْ عَقَائِلَ العُقُولِ⁴

¹ المرجع السابق، ص 637-638.

² شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، دار المعارف، ص 378.

³ المرجع نفسه، 638.

⁴ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 1، 1998م، ص 593.

➤ الصراع الأندلسي مع الفرنجة: فقد كان أهل الأندلس في حرب وصراع دائم مع العدو عاشوا ما يقرب من ثمانية قرون يوطنون أنفسهم على أنهم أهل حرب، وفي ثغر إسلامي يتطلب منهم الجهاد والاستغفار وينظرون إلى قائدهم على أنه بطل معارك وحرب.¹ ويذكر "الحميدي": « أنالأندلس ثغر من ثغور المسلمين لمحاورتهم الروم، واتصال بلادهم ببلادهم». ² ونص الضبي على زيادة أعداء الروم وبلادهم أضعافاً مضاعفة، وقلة أعداء المسلمين بالنسبة إليهم.³

ويلاحظ مما سبق أن الأندلس عاشت حرباً وصراعاً مع الفرنجة دام ثمانية قرون.

ولقد صوّر الفقيه الزاهد "ابنالعسال" غزو النصارى بريشتر وهجماتهم الشرسة، وتنكيلهم بالمسلمين وقتل الرجال وسبي ذراري المسلمين ونسائهم، فقال:⁴

وَلَقَدْ رَمَانَا الْمُشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ * * * لَمْ تَخْطُ وَلَكِنْ شَأْنُهَا الإِصْمَاءُ⁵

نستنتج من خلال شعر الشاعر معاناة وصراع المسلمين مع النصارى.

➤ سقوط العديد من المدن والقرى والحصون في أيدي الصليبيين: وتنازل بعض الأمراء عن القواعد الأندلسية لأعداء الدين، يقول "ابنسام": « وقد حلت الفاقة وقضيت القضية، وتعجلت البلية، بحصول مدينة طليطلة في أيدي النصارى». ⁶

ولما استولى الأعداء على بلنسية، وحاصرها ملك برشلونة، استعاث "زيان بأبي زكريا بن أبيحفص" طالبا منه الغوث والنجدة، فأوفد إليه "ابن الآبار القضاعي"، فأنشده قصيدته السينية التي بدأت بطلب النجدة من "الأمير" وإنقاذ الأندلس.⁷

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَساً * * * إِلَى السَّبِيلِ إِلَى مُنَاجَاتِهَا دَرْساً.⁸

¹ أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 643.

² المرجع السابق، ص 643 - 644.

³ المرجع نفسه، ص 644.

⁴ المرجع نفسه، ص نفسها.

⁵ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعيار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة 1، 1975م، ص 90.

⁶ أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 649.

⁷ المرجع نفسه، ص 650.

⁸ ابن الآبار القضاعي، الديوان، قراءة وتعليق عبد السلام العراس، ص 408.

واعتماداً على ما سبق أنّ الشعراء كانوا يستعملون شعرهم من أجل طلب الإغاثة، كسينية "ابن الآبار القضاعي"، التي كتبها من أجل أن يطلب المساعدة من الأمير لكي ينقذ الأندلس.

➤ ما أصاب نساء المؤمنين من الهوان: وهتك أعراض المؤمنات وتغريب المساجد وجعلها كنائس، حيث كان لذلك أثر كبير في كتابة شعر الإستغاثة لاستشارة النخوة العربية والدفاع عن الحرمات والمقدسات الإسلامية.¹ والشاعر "ابن الآبار القضاعي" يستنصر "الأمير الحفصي" على الروم الطغاة ويصور ما آلت إليه المساجد.²

يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعَدَا بِيْعاً * * * * * وَلِلنِّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَساً.³

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الشاعر حزين لما أصبحت عليه حال المساجد.

3- الخصائص العامة لشعر الإستغاثة في الأدب الأندلسي:

تميّز شعر الإستغاثة في الأدب الأندلسي بالخصائص التالية:⁴

1/ لقد نبغ هذا الفن الشعري من واقع مأساة الأندلس، فكان تعبيراً صادقاً عن هذه المأساة، حيث عاصر الشعراء سقوط المدن الإسلامية في أيدي الأعداء، وبعضهم شاهد ضياع هذه المدن بعد أن استولى عليها الأعداء.

2/ صوّر شعر الإستغاثة ما جرى في الأندلس من المحن والشدائد، وما ارتكبه الملوك الصفر، والكفرة من المنكرات وانتهاك الحرمات والمقدسات.

3/ تحققت في هذا الشعر ألوان الموسيقى الشعرية بعناصرها المختلفة.

4/ هو شعر زاهر بالعاطفة الدينية القوية، وصدق التجربة الشعورية.

5/ غلبت عليه الصور الباكية الحزينة، لشدة المأساة وهول الكارثة.⁵

¹ أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 652.

² المرجع نفسه، ص 655.

³ ابن الآبار القضاعي، الديوان، ص 409.

⁴ أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 752.

⁵ المرجع نفسه، ص 752 - 753.

نستنتج مما سبق أن الخصائص العامة التي تميز شعر الإستغاثة هي أنه كتب من الواقع ليعبر عن محنة الأندلس، حيث صور هذا الشعر معاناة المسلمين والبطش من قبل النصارى. ويعتبر الشاعر "أبي البقاء الرندي" من أشهر الشعراء الذين كتبوا قصائد في شعر الإستغاثة في العهد الأندلسي، ولهذا خصصنا هذه المذكرة من أجل التعرف على هذا الشاعر الكبير وإنتاجه الشعري، ودراسة وتحليل قصيدته المشهورة، والتي مطلعها:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * * * فَلَا يُعَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ.¹

4-العوامل المؤثرة في نشأة الشعر الأندلسي:

هناك عوامل أثرت بشكل جليّ في نشأة الشعر الأندلسي، ولعلّ من أهمها ما يلي:

➤ جهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر: لقد كان القائم بأمر هذا الشعر المحدث وتقريبه إلى دارسي الأدب، طبقة من المؤدبين ارتحل أكثرهم إلى المشرق واغترف مما فيه من علم وأدب، وعاد يدرس في جامعة قرطبة، وقرطبة يومئذ "دار القوم"، فإلى هؤلاء وإلى المهاجرين من طلاب الحاجات وإلى تشجيع الحاكمين يومئذ، يعزى الفضل في إدخال ضروب الثقافة المشرقية بلاد الأندلس من حديث وفقه ولغة وشعر.² نستنتج مما سبق أن هناك مجموعة من الأدباء ارتحلوا إلى المشرق وقاموا بأخذ وتعلّم الأدب والعلم، ليعودوا إلى الأندلس ويدرسون ما تعلموا، فهذه الرحلة كان لها أثر إيجابي في إدخال ضروب الثقافة المشرقية لبلاد الأندلس.

وكان من أوائل الكتب اللغوية التي هاجرت بصحبتهم كتب: "الأصمعي" و"الكسائي"...، وكتابا الفرش والمثال في العروض "للخليل بن أحمد"، وكتاب "يعقوب بن السكيت" في إصلاح المنطق...، أما في الشعر فإنّ "محمد بن عبد الله الغازي" جلب الأشعار المشروحات كلها وهاجر "عباس بن ناصح" لما سمع بنجوم "أبي نواس" وروى شعره ويجب أن ننوّه هنا بمقدار ما أحرزه

¹ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 487.

² إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1969م، ص 48 - 49.

شعر "أبي تمام" من قبُول في البيئة الأندلسية.¹ ويلاحظ أن أولئك الأدباء الذين هاجروا إلى المشرق جلبوا معهم كتب متعلقة بالشعر واللغة، وكان لشعر "أبي تمام" مكانة مهمة في الأندلس.

فقد أمر الخليفة عبد الرحمان الناصر بانتساح شعر حبيب، وجمع لذلك جماعة من أدباء الأندلس يومئذ لتحقيق ذلك، وإزاء هذه العصبية لأبي تمام، وجد أيضًا من يتعصب للبحثري ويدين بتفضيله، وهذا كله يتبَي عما كان للشعر المحدث من مقام بين عرب الأندلس، ولم يمضي وقت طويل حتى كان الذوق الأندلسي قد ألف هذا النوع من الشعر وجعله مقياسا للجودة، ولم يَألف ما عداه كثيرا، وأصبح المتأدبون هنالك يضعون خطأ فاصلا بين طريقتين في الشعر: طريقة العرب وطريقة المحدثين.² اعتمادا على ما سبق أن الخليفة "عبد الرحمان الناصر" أمر بجمع أشعار الحبيب وكلف جماعة من أدباء الأندلس لتحقيقه، وهذا الاهتمام بأبي تمام وأشعاره جعلهم يتعصبون للبحثري، وهذا يدل على أن الشعر المحدث كان له مقام كبير بين عرب الأندلس، فبعد مدة تعوّدوا على هذا النوع من الشعر وجعلوه مقياسا للجودة.

وكان الذوق في هذه البيئة يُجمع على أن الشعر إنما يتقدم لغرابته وحسن معناه وأن من خير الشعر وصف "أبي تمام" للقلم لما فيه من غرابة، على أننا يجب ألا نغلو في تقدير ما كان يحسنه هؤلاء المؤدبون، فإنهم -في الأكثر- كانوا سطحيين حتى في ميدانهم من لغة ونحو.³ نستنتج مما سبق أنّ الذوق في هذه البيئة الأندلسية كان مبني على أن الشعر يتقدم عن غيره لغرابته وحسن معناه، أي أن الشعر إذا كان غريب فهو جميل، فلا نبالغ في تقدير ما كان يحسنه أولئك الأدباء، لأنهم كانوا سطحيين حتى في ميدانهم.

وقد ساعد بعض المهاجرين من غير الأندلسيين على ترسيخ أثر المحدثين في البيئة الأندلسية مثل "إبراهيم بن سليمان الشامي" الذي دخل الأندلس في أخريات أيام "الحكم بن هشام" وكان قد أدرك بالمشرق كبار المحدثين "كأبي العتاهية"، ومثل "أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني" الذي لقي

¹ المرجع نفسه، ص 49.

² المرجع السابق، ص 50.

³ المرجع نفسه، ص 52.

من الشعراء "أباتمام"، و"البحتري"، و"دعبلا"، و"ابن الجهم"¹. ويلاحظ أن هنا بعض المهاجرين الغير أندلسيين ساعدوا في ترسيخ أثر المحدثين في الأندلس، "كإبراهيم بن سليمان الشامي"، و"أبيالسير إبراهيم بن أحمد الشيباني".

➤ **حركة الغناء وأثرها في تكون الشعر الأندلسي:** كان الغناء من أكبر العوامل التي مكّنت للنماذج المشرقية في البيئة الأندلسية، فإن التفاعل بين الموسيقى والشعر ذو قدرة على توجيه الشعر وتحديد قوالبه.²

نلاحظ أن الغناء كان له الأثر الأكبر في تكوّن الشعر وذلك لطبيعته لأن طبيعة الشعر أنه غنائي فهو يعتمد على الموسيقى، فالتفاعل بين الشعر والموسيقى هو الذي يحدد قالب الشعر. وقد كاد اعتماد الأندلس يكاد يكون كلياً على التلاحين المشرقية وكان أمراؤهم يؤمنون بتفوق الجوّاري المشرقيات في هذه الناحية ويبدلون في استقدامهن الأموال الكثيرة، فابتاع "عبد الرحمانالداخل" جارية تسمى "العجفاء" وكانت تغني بالمدينة عند أحد موالى بني زهرة، كما اشترى عبد الرحمان نفسه جارتين مدينتين هما "فضل" و"علم"، وأضاف إليهن جارية رابعة بشكّسية اسمها "قلم" وكان يؤثرنّ جودة غنائهنّ ورقة أدهنّ.³ نستنتج مما سبق أن أمراء الأندلس اعتمدوا على التلاحين المشرقية، وكانوا يؤمنون بتفوق الجوّاري المشرقيات، وكانوا يشتريهنّ بالأموال "كعبد الرحمان الداخل الذي اقتنى أربع جاريات يمتلكنّ الجودة في الغناء ورقة الأدب.

ويعد "الحكم بن هشام" من أكثر أمراء بني أمية عناية بالغناء، وكان لديه عدد من الجوّاري المغنيات منهن "عزيزة وبهجة (أو مهجة)، وفاتن" وكان هو يقترح عليهنّ الأشعار التي يغنين فيها، وكان المغيرة بن الحكم يشبه أباه في حبه للغناء وفي الإقبال عليه وتشجيعه، ثم دخل زرياب الأندلس هو وأبناءه وجوّاربه فعفى على آثار من سبقه بتجديداته وبدعه في الغناء والآداب العامة، فزاد في أوتار

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 52.

² المرجع السابق، ص 53.

³ المرجع نفسه، ص نفسها.

عوده وترًا خامسا وجعل للغناء مراسم.¹ نلاحظ من خلال ما تقدم أن "الحكم بن هشام" كان من أكثر الأمراء عناية بالغناء، فكان له الجوّاري، وكان هو الذي يعرض عليهن الأشعار التي يغنين فيها كما تَبَعَهُ ابنه "المغيرة" في حبه للغناء، ليأتي بعد ذلك زرياب رُفقة أبناءه بإبداعاته وتجديداته.

ويمكننا القول إن الغناء من الناحية الفنية لم يتطور كثيرا بعد زرياب، وقد عرفنا عددا من المغنين الذين عاشوا بعده منهم "وضيح بن عبد الأعلى" الذي كان في زمن "هشام المؤيد" ومعاصره "سعيد بن كامل" ...، وغير هؤلاء من المغنين ولكن الأصوات التي يغنونها كانت جميعها من الشعر المشرقي وليس هناك من إشارة إلى أثر ألحان زرياب فيها.² نستنتج مما سبق أن الغناء لم يتطور بعد زرياب فهناك عدد من المغنين الذين عاشوا بعده كانت أصواتهم التي يغنونها جميعها من الشعر المشرقي، فلم يكن فيها أثر لألحان زرياب.

وقد تغدّى الغناء الأندلسي بالألحان والأشعار المشرقية لأن كثيرا من حملة ذلك الغناء كانوا من الطراء المهاجرين، ولكن هل تلقى ذلك الغناء أثرا آخر غير المشرقي؟ فالغناء الأندلسي تلقى تأثيرا أجنبيا قبل دخول زرياب إلى الأندلس، فهي أصبحت بوتقة انصهرت فيها التيارات الغنائية المختلفة وكما كان العرب يرتاحون إلى التلاحين الوافدة، كانت الأغاني العربية تردّد في البلاطات الأجنبية ويجد سامعوها فيها متعة روحية.³ اعتمادا على ما سبق أن الغناء الأندلسي استمد طاقته من الأشعار المشرقية، لأن الكثير الذين كانوا يحملون هذا الغناء كانوا من المهاجرين وهذا ما جعلنا نتساءل، هل هناك أثر آخر غير المشرقي؟ نعم لقد كان هناك أثر أجنبي قبل أن يدخل زرياب إلى الأندلس وهؤلاء الأجنبيين كانوا من النصارى، وكما تأثر العرب بهذا اللحن المشرقي والأجنبي، فإن الأغاني العربية أيضا كانت لها بصمتها في البلاطات الأجنبية بحيث كانوا يجدون فيها متعة روحية.

➤ **النهضة الثقافية وأثرها في الشعر الأندلسي:** لقد قام أولوا الأمر بتشجيع الثقافة وتقريب أصحابها من المقيمين والوافدين، وهيبأوا الأسباب التي تكفل تقدمها ونماءها، فرعّوا أمر الفقه واللغة

¹ أنظر، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 53 - 55.

² أنظر، المرجع السابق، ص 59 - 60.

³ أنظر، المرجع نفسه، ص 60.

والطب...، وشجعوا المؤلفين على التأليف فقد رأينا كيف كانت هجرة الكتب المشرقية أيام "الأمير الحكم" ناشطة على أيدي تجّار مشاركة كانوا يتكسبون ببيعها في الأندلس.¹ نستنتج مما سبق أنّ أولئك الأمراء قاموا بتشجيع الثقافة وتقريب أصحابها فهيأوا لها الأسباب التي تجعلها تتقدم فاهتموا بعلوم الفقه واللغة والطب.

وكان "الحكم" هو الذي عُني بتخريج ابنه "عبد الرحمان" في العلوم الحديثة والقديمة ولذلك كان شغوفاً بالثقافة وجمع الكتب وهو الذي وجه إلى المشرق "عباس بن ناصح الجزيري" في التماس الكتب القديمة فجاءه بالسند "هند" وغيره منها، وهو أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها ونظر هو فيها.² نلاحظ مما سبق أنّ "الحكم" كان محبباً، شغوفاً بالثقافة وجمع الكتب حيث قام ببعث "عباس بن ناصح الجزيري" إلى المشرق لإتيانه بالكتب القديمة، فهو أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها بها. وفي وسط المائة الثالثة، أيام الأمير "محمد" ابنه، تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم، ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى أواسط المائة الرابعة، ومن اشتهر بطلب العلوم في هذه الفترة "أبو عبيدة البلنسي" المعروف بصاحب القبلة وكان فلكياً دارساً للجغرافيا، كما اهتم بالمنطق والحساب "محمد بن إسماعيل" الملقّب "بالحكيم".³ اعتماداً على ما سبق أنّ في أيام "الأمير محمد" ابنه، توجه عدد من الناس إلى تعلم العلوم، فنجد ممن اشتهر في طلب العلوم "أبو عبيدة البلنسي" وكان فلكياً...، إضافة إلى "محمد بن إسماعيل" الذي اهتم بالمنطق والحساب.

إلا أنّ الأندلسيون ظلّوا ينظرون في ريبة إلى من يشتغل بعلوم الفلسفة والمنطق والجدل ولا يتقبلون من علوم الأوائل إلاّ الطب والحساب، حتى مضت عدة سنوات من حكم "الناصر" ونصّب ابنه "الحكم" نفسه لتشجيع العلوم دون تفرقة وإليه يعود الفضل في ظهور نهضة علمية شاملة بالأندلس.⁴ ويلاحظ أنّ الأندلسيون لم يكن لديهم من يشتغل بعلوم الفلسفة والمنطق فهم لم يتقبلوا

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 62.

² المرجع السابق، ص نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 62 - 63.

⁴ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 63.

من علوم الأوائل إلاّ الطب والحساب، حتى أتى حكم "الناصر" فشجع دراسة كلّ العلوم دون تفرقة وبالتالي كان له الفضل في نهضة علمية شاملة في الأندلس.

فمن إغراقه للعلماء والأدباء أن قدم عليه كثير من المشاركة تميّز من بينهم "أبو علي القاليللغوي"، ولا يُستبعد أن يكون "الحكم" هو الذي كتب إليه ورعّب في الوفود عليه فتلقاه مُرحّباً، وبالغ في إكرامه، وباسمه طرز "أبو علي" كتاب "الأمالي"، وهو الكتاب المسمّى بكتاب "النوادر"، ولا ريب في أنّ قدوم "القاليل" إلى الأندلس كان يمثل نهضة في الدراسات اللغوية والأدبية وعنه تلقّى الأندلسيون وأخذوه حجّة.¹ نستنتج مما سبق أنّ "الحكم" كان مُحباً للثقافة شغوفاً بها مما جعل الكثير من المشاركة يأتون إليه، ومن بينهم "أبو علي القاليل" الذي نشط في اللغة، فقدوم القاليل إلى الأندلس كان يمثل نهضة في الدراسات اللغوية والأدبية حتى أن الأندلسيون أخذوه حجّة.

فالقاليل هاجر معه عدد كبير من الكتب إلى الأندلس فيها من الدواوين عدد جَمّ من وخاصة دواوين الجاهليين والأمويين والمجموعات الشعرية الهامة كالمفضّليات وشعر النقائص، فمثلا من دواوين الشعر: شعر "ذي الرمة"، و"الحطيئة"، و"النابعة الذيباني"، و"عروة بن الورد"، و"الأخطل"... كما أنّه نقل معه كتباً من الأخبار والفنون المختلفة، وكل هذا يشير إلى قوة التيار الثقافي الذي أخذ يتّجه بالمتقنين إلى التعمق في الدراسات القديمة والتقليل من الإعجاب بالمحدثين.² نلاحظ أنّ "القاليل" عندما هاجر إلى الأندلس جلب عدد كبير من الكتب والدواوين، وكذلك كتب من الأخبار والفنون المختلفة وهذا يدل على التأثير الكبير بالدراسات القديمة أكثر منها اهتماماً بالمحدثين.

ولم يكن "الحكم" يفضّل علما على آخر، ولذلك امتلأت خزائنه بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والطب، وأقبل الناس على قراءة علوم الأوائل رغم أنّهم كانوا من قبل ينفرون منها.³ ويلاحظ أنّ "الحكم" لم يكن يفضّل علما على آخر وبالتالي امتلأت خزائنه بكتب مختلف العلوم مما أدّى إلى

¹ أنظر، المرجع السابق، ص 64.

² أنظر، المرجع نفسه، ص 65.

³ أنظر، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 67.

إقبال الناس على قراءة مختلف العلوم، وكما كان الاهتمام بعلوم الطب والحكمة والفلسفة، فاهتموا أيضاً اهتماماً بالغاً بالأدب (شعراً ونثراً).

فنجد كتب تناولت الأدب من شعر ونثر، وكذا سير الأدباء والنقد الأدبي، ولعلّ من أهمها ما يلي:

- طبقات الشعراء بالأندلس "لعثمان بن ربيعة".
 - أخبار شعراء الأندلس "لمحمد بن هشام الأموي".
 - كتاب الحقائق "لابن فرج الجياني".
 - كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس "لعلي بن أبي الحسين".¹
- اعتماداً على ما سبق نستطيع القول بأن اهتمام الحكّام لم يقتصر على علوم الطب والفلسفة بل اهتموا أيضاً بالأدب؛ شعراً ونثراً.

وكانت السمات المميزة للشخصية الأندلسية في مدى ذينك القرنين قد اتّضحت بقوة في كثير من النواحي، ومن الطبيعي أن تستقل الأندلس - ذات السيادة الخاصة والنظم المتفردة - بكثير من العادات والأزياء وضروب الإدارة وطرق الحرب والجنديّة، وأساليب الزراعة والصناعة والبناء وطرق التعليم وطبيعة العلاقات الإجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من شؤون، ويكفي هنا أن نلمح مظهرين من مظاهر ذلك الاستقلال، هما أوثق شيء صلة بالأدب ولغة التعبير، وأعني بهما استقلال الأندلس - بحكم التفاعل الطبيعي مع البيئة - في أمثالها ولغتها.² ويلاحظ أنّ استقلال الأندلس اعتمد على مظهرين هما: الأمثال واللغة.

- 1- وقد وصلنا قليل من الأمثال الأندلسية، وهو يدل على أنّه نتاج بيئتهم لاتصاله بأشخاص وأحداث ومظاهر منها، فمن ذلك أنهم يقولون حين يضربون المثل في الفصاحة: "ما هذا إلاّ حرّشّن" و"أفصح من بكر الكناني" و"أفصح من الرشاش"، وكل هؤلاء من لغويي الأندلس وقدامى المؤدبين.³

¹ أنظر، المرجع السابق، ص 79 - 80.

² المرجع نفسه، ص 81.

³ المرجع نفسه، ص 81 - 82.

نلاحظ مما سبق أن الأمثال في الأندلس وصل منها القليل فقط.

2- أما ظاهرة الاستقلال اللغوي فلست أعني بها فحسب تميز اللهجة الأندلسية الدارجة ونموها مع الزمن، وإنما أعني أيضاً ما نبت في البيئة الأندلسية عامة من تغييرات ومصطلحات لو سمعها أهل المشرق لما عرفوا مدلولها، وهذا شيء وإن لم يكن خاصاً بالأندلس فإنه يستحق التمييز والتنويه وتشمل تلك المصطلحات والتعبيرات شؤون الإدارة والمال والمسميات الجديدة، وأسماء النباتات، بلوما يدل على الأدوات والأمور اليومية.¹ ونستنتج مما سبق أن الاستقلال اللغوي تمثل في مصطلحات جديدة تتعلق بالإدارة والمال والنباتات.

5- نماذج من شعر الإستغاثة في الأدب الأندلسي:

كتب العديد من الشعراء عن شعر الإستغاثة ومن بينهم: "ابن الآبار القضاعي"، و"ابن خفاجة"، و"ابن العسال"، و"أبي البقاء الرندي".

أ- أبي البقاء الرندي:

ومن قصائد رثاء المدن التي سقطت في أيدي الإسبان وانتهت بالاستغاثة والاستنجاد بالحكام المسلمين نجد: "نونية أبي البقاء الرندي":²

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * * * فَلَا يُعَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلٌ * * * مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامُنُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ أَحَدٍ * * * وَلَا يَدُومُ عَلَيَّ حَالٌ لَهَا شَانٌ³.

اعتماداً على ما سبق أن الشاعر "أبي ابقاء الرندي" تحدث في شعره عن الأندلس بعد سقوطها وهو متأثر ويشعر بالحزن لهذه المأساة الأليمة.

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 82.

² أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 717.

³ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد 4، ص 487.

ب- ابن الآبار القضاعي:

أنشد "ابن الآبار" هذه السينية أمام أمير تونس "أبي زكريا ابن أبي حفص"، مُستصرخا إياه، ومستغيثا به لإنقاذ بلنسية من أيدي الأعداء الصليبيين:¹

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا * * * إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مُنْجَاتِهَا دَرَسًا
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ * * * فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسًا
وَحَاشَ مِمَّا تُعَانِيهِ حَشَاشَتُهَا * * * فَطَالَ مَا ذَاقَتْ الْبَلْوَى صَبَاحًا مَسَا.²

يتبين لنا من خلال ما سبق أن الشاعر "ابن الآبار" كتب قصيدته السينية من أجل طلب الغوث والنجدة من أمير تونس لكي يُنقذ بلنسية من يد الأعداء.

ج) ابن خفاجة:

وكانت بلنسية عاصمة شرق الأندلس الكبرى قد ذاقت الأمرين على يد "القمبيطور" حين احتاجها سنة 487هـ أربعمائة وثمانية وسبعون للهجرة، ولم يتورع عن تدميرها وحرق بعض البارزين من أهلها ومنهم زعيم ثورتها "أحمد بن جحاف"، وسجن آخرين، وقد وصف "أبو عبد الرحمان بن طاهر" أحد وجوه بلنسية ما حل بها يومذاك فكتب إلى بعض إخوانه: «فلو رأيت قطر بلنسية، نظر الله إليه وعاد بنوره عليه، وما صنع الزمان به وبأهلبيه، لكنت تندبه وتبكيه، فقد عبث البلى برسومه عدا إلى أقماره ونجومه فلا تسأل عمًا في نفسي وعن نكدي ويأسي».³

وقد عانى الشاعر "ابن خفاجة" من وطأة تلك الأحداث الجائحة في حملة من عانوا وحز في نفسي ما ألم بلنسية على يد جحافل الإسبان فرثاها بهذه الأبيات:⁴

عَانَتْ بِمُبَاحَتِكَ الْعَدَا يَا دَارُ * * * وَمَحَا مَحَاسِنَكَ الْبَلَى وَالنَّارُ
فَإِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنَابِكَ نَاطِرُ * * * طَالَ اعْتِبَارُ فَيْكَ وَاسْتِعْبَارُ

¹ أبو الوفا حمادة عطيفي، الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 665.

² ابن الآبار القضاعي، الديوان، ص 408.

³ أنظر، عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، منشورات دار المشرق بيروت، ص 299 - 300.

⁴ أنظر، المرجع نفسه، ص 300.

أَرْضُ تَقَادَفَتْ الْخُطُوبُ بِأَهْلِهَا * * * وَتَمَخَّصَتْ بِخَرَابِهَا الْأَقْدَارُ
كَتَبَتْ يَدَ الْحَدَثَانِ فِي عُرْصَانِهَا * * * لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدَّيَّارُ دِيَّارُ¹

نستنتج من خلال ما تقدّم أن الشاعر "ابن خفاجة" عانى ما عانت منه بلنسية وأبياته الشعرية تعبر عن حسرته وحزنه عن بلنسية.

(د) ابن العسال:

وقد سجّل الشعراء سقوط مدينة بُرَيْشْتَر، الذي كان سنة 456هـ أربعمئة وستة وخمسون للهِجْرة وتقع المدينة على أحد فُروع نهر إيبرو بين مدينتي لاردة ووشقة في الشمال الشرقي لسرقسطة، وقد حاصرها النورمان ثم فتكوا بأهلها فتكاً ذريعاً فقتلوا وسبّوا ونهبوا، وكانت المدينة تحت نظر "يوسف بن هود" الملقب "المظفر" ولم يسارع أخوه "أحمد" الملقب "بالمقتدر" إلى إنقاذ المدينة لخلافٍ مستمر مع أخيه على أن "المقتدر" - وهول الكارثة وشدّتها - هيأ حملة أنقذت بريشتر بعد تسعة أشهر لكن سقوط المدينة المروع وأحداثه الدّامية وفضائع النورمان الرهيبة حركت أقلام الشعراء تسجيلاً واعتباراً، وحثّاً على استدراك الأحوال العصيبة.² ويمكن القول أنّ سقوط مدينة بُرَيْشْتَر وما آلت إليه من دمار وأحداثٍ مروعة وصعبة التي عاشتها المدينة وسكّانها جعلت الشعراء يستخدمون أقلامهم للتعبير بشعرهم عن مأساة وخراب هذه المدينة. وفي هذه الكائنة يقول الفقيه الزاهد "ابن العسال":³

وَلَقَدْ رَمَانَا الْمَشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ * * * لَمْ تَخْطُ لَكِنْ شَأْنُهَا الْإِصْمَاءُ
هَتَكُوا بِخَيْلِهِمْ فُصُورَ حَرِيمِهَا * * * لَمْ يَبْقَ لَا جَبَلٌ وَلَا بَطْحَاءُ
جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَلَهُمْ بِهَا * * * فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَعْوَاءُ⁴

¹ ابن خفاجة، الديوان، القاهرة، 1960، ص 354، نقلا عن: عمر الدقاق: ملامح الشعر الأندلسي، منشورات دار المشرق، بيروت، ص 300.

² أنظر، محمد رضوان الدّاية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، ص 162.

³ المرجع نفسه، ص 163.

⁴ محمد بن عبد المنعم الحيميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع فهرس شاملة، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة بيروت لبنان، الطبعة

1975م، ص 90.

اعتماداً على ما سبق نلاحظ أنّ، الشاعر "ابن العسّال" قد عبّر من خلال شعره عن ظلم المشركين للمسلمين وعن القتل والتعذيب الذي كان يعانيه المسلمون.

الفصل الأول: ضبط المصطلحات

- المبحث الأول: شعر الإستغاثة

- المبحث الثاني: مفهوم النص

- المبحث الثالث: مفهوم التناص

الفصل الأول: ضبط المصطلحات

نسعى في هذا الفصل إلى ضبط المصطلحات الواردة في متن عنوان المذكرة، وهي كالتالي:

المبحث الأول: شعر الاستغاثة

كنا قد تعرضنا لهذا المصطلح في المدخل و عرفنا بأنَّ شعر الاستغاثة اشتهر في الأندلس، وأنه قام على استنهاض عزائم ملوك المغرب العربي، وهم سائر المسلمين في شتى أقطارهم، كي يهبوا بباعث الأخوة الإسلامية لنجدة إخوانهم في الأندلس ومدد يد العون لهم في جهادهم ضد نصارى الأندلس. ومن خصائصه العامة أنه كان تعبيراً صادقاً عن مأساة المسلمين في الأندلس، وصوّر ما جرى فيها من المحن والشدائد، وهو شعر زاخر بالعاطفة الدّينية، كما غلبت عليه الصور الباكية الحزينة.

المبحث الثاني: مفهوم النصّ

1- مفهوم النصّ عند العرب:

أ) لغةً: جاء في لسان العرب "لابن منظور" في مادة "نَصَصَ": النَّصُّ: رفعك الشَّيْءَ، نَصُّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه، وكل ما أظهر، فقد نصّ.¹ ووضع على المنصّة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور والمنصّة: ما تظهر عليه العروس لثرى، و قد نصها وانتصت هي، والماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة، وهي تنتص عليها لثرى من بين النساء.²

نستنتج مما سبق أنّ التعريف اللّغوي للنصّ في معجم لسان العرب "لابن منظور" يدل على الرّفْع و كلّ ما يوضع على المنصّة و الماشطة التي تجهز العروس لثرى على المنصّة.

ب) اصطلاحاً: النصّ ما لا يحتمل إلاّ معنىً واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التّأويل.³ وأصحاب هذا الاتجاه يعتقدون أنّ النصّ لا يحتمل التّأويل ويحتمل معنى واحداً. إنّ المفهوم الاصطلاحي لكلمة "نص" مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر، وهو ليس وليد هذا الفكر، وإتمّما هو كغيره من

¹ ابن منظور: لسان العرب، ص 97.

² المصدر نفسه: ص نفسها.

³ علي بن محمد السّيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: قاموس لمصطلحات و تعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، باب النون، ص 203.

مفاهيم كثيرة في شتى العلوم الحديثة، وافدا علينا من الحضارة الغربية، وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي، وربط ذلك بما يدل عليه في وقتنا الحاضر، ضرباً من التحمل الذي لا ترجى منه فائدة.¹

«إنَّ انتقال النَّصِّ إلى حيزِ الدراسات الأدبية وشيوعه في أكثر النظريات الفلسفية والأدبية والتَّقدية الحديثة، قد وضع المتلقِّي العربي اليوم في حالة اضطراب يعيشها جرَّاء قراءته أو سماعه لهذا المصطلح، وهو يتردد في جميع الدَّراسات النَّقدية الحديثة، وذلك لعدم مقدرته على الرِّبط بين المفهوم المعجمي العربي الذي يعرفه وبين ما تبثُّه الحقول المعرفية في المصطلح من مفاهيم جديدة».²

وسوف نحاول في هذا الفصل تحديد مفهوم النَّصِّ في التُّراث العربي والغربي، انطلاقاً من معناه اللُّغوي والاصطلاحي عند اللسانين والبنويين والتفكيكين.

ج) في التُّراث العربي:

يلاحظ مستقرئ التُّراث النقدي العربي أنَّ النقاد العرب القدامى استعانوا بمصطلحين أساسيين في تحديد مفهوم النَّصِّ و هما: النظام والرؤية، فمن المقومات الأساسية لبنية النَّصِّ في نظرهم (النظام) وقد عبَّر النقاد القدامى عن ذلك بعدة مصطلحات أو مترادفات وهي: (المشاكله، والرصف والائتلاف، والبناء).³ ففي اعتقاد النقاد العرب القدامى أنَّ مصطلحي النظام والرؤية هما اللذان يحددان مفهوم النَّصِّ، و أنَّ النظام من المقومات الأساسية لبنية النَّصِّ.

ولئن اختلف النقاد العرب في استعمال هذه المصطلحات، إلا أنَّ ما يميز أدبية النَّصِّ هو هذه البنية التي تجعل منه لحمه واحدة، فالكلام الذي اكتسب نظامه الخاص هو عندهم "دمت المباني والمتاني أيضاً، رقيق الحواشي، مطرد السياق، متفق القرائن، معتدل الائتلاف مستمر الوصف، معتدل

¹ محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم الناشر، منشورات الاختلاف، ص 18.

² الأحمَد، نَحْلَة: ما هو النص؟، المعرفة: مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد 451، أبريل 2001، ص 88

نقلا عن: محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم الناشر، منشورات الاختلاف، ص 18.

³ الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قرمات: تحديد مفهوم النص، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018

جامعة تلمسان، ص 35.

البناء، ظاهر الفحوى، صحيح المعنى، معروف المغزى، معناه ظاهر في لفظه"، أمّا الكلام العُقل فهو "مضطرب التركيب، مُتشتت النظام، متشعب الالتئام، ويناوي معناه لفظه، ويباين مغزاه لفظه."¹ ويُلاحظُ أنّ النُّقاد قد اختلفوا في استعمال هذه المصطلحات، وبنية النّص تميزه وتجعله لحمّة واحدة والكلام الذي اكتسب نظامه الخاص يختلف عن الكلام العُقل. وقد أدرك النقاد القدامى أهمية هذا النظام و اعترفوا بصعوبة تحقيقه على مستوى النص²، يقول "ابن المدبر": «وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ، و قصدك بها إلى موضوعها، لأنّ اللَّفظة وقسمتها في الفصاحة والحسن ولا تحسن في مكان غيرها.³» ولذلك ليس أصعب عندهم من رفع النّص بعد إنشائه⁴. وعليه نستطيع القول إنّ النقاد القدامى قد أدركوا أهمية النظام في النّص واعترفوا في الوقت نفسه بصعوبة تحقيقه على مستوى النص، وقد بين "ابن المدبر" ذلك في قوله صعوبة انتقاء واختيار الألفاظ.

2- مفهوم النّص عند الغربيين:

حظي النّص عند النقاد الغربيين بتعاريف عديدة، تعكس توجّهات معرفيّة ونظرية ومنهجية.

أ) المعنى الاشتقاقي:

إنّ كلمة Texte مشتقة من الكلمة اللاتينية Textus والتي تعني النسيج Tissu trame وتقودنا الدّراسة المعجمية للكلمة إلى تثبيت لفظة [النسيج] كمقابل للنّص، ومن ثمّ فإنّ نسيج الكلمات يتوافق دلاليًا مع تركيب النّص، بوصفه مجموعة نغمية وحجمها لغويًا.⁵ نستنتج مما سبق أنّ كلمة Texte أصلها لاتيني و تعني النسيج وأنّ لفظة نسيج هي مقابلة للنّص.

وهناك من الباحثين العرب من حاول الجمع بين الدّلالة المعجمية لكلمة نص في العربية والفرنسية

¹ المرجع السابق: ص نفسها.

² المرجع نفسه: ص نفسها.

³ إبراهيم بن المدبر: الرسالة العذراء، الطبعة 1، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1931، ص 31.

⁴ الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قرامط : تحديد مفهوم النص، ص 35.

⁵ المرجع نفسه: ص 37.

والإنجليزية، نذكر منهم على سبيل المثال "خليل الموسى" الذي يقول في هذا الشأن: ¹«لا شك في أن معاني (نص) في القديم غيرها في العصر الحديث، وعند العرب عند سواهم، وهذا أمر طبيعي تقتضيه التطورات والتغيرات الزمانية والمكانية التي طرأت على معاني الألفاظ.»² ويلاحظ أن الباحثين العرب حاولوا الجمع بين الدلالة المعجمية لكلمة نص في مختلف اللغات الأجنبية كالعربية والفرنسية والإنجليزية.

"النص هو مجموع الملفوظات المكتوبة أو الشفهية التي تُشكل خطاباً متتابعاً، فالنص بمعنى آخر هو شكل لغوي يُوصف بطول معين، كأن يكون قصة أو رواية أو كتاباً، وإذا دققنا النظر في هذا التعريف، نلاحظ أنه يركز أساساً على ربط النص بالقياسات الشكلية الخارجية وهذا غير كافٍ ولا يثبت أمام ما نلمسه من تطابق النص مع جملة أو كتاب كامل، فكمية النص ليس شرطاً في تعريفه"³. نستنتج مما سبق أن النص هو كل لفظ شفهي أو مكتوب، ويوصف بطول معين فقد يكون رواية أو قصة فهو يرتبط إذن بحجمه وعدد الكلمات والجمل المتواجدة فيه.

والنص من منظور اللسانيين يمكن أن يكون جملة، كما يمكن أن يكون كتاباً كاملاً - حتى ولو كانت بعض النصوص غير منتهية - ويستقيم تعريفه باستقلالته وانتهائه، أو مجموعة منتهية أو غير منتهية من الملفوظات المكتوبة أو الشفهية التي تُشكل خطاباً متتابعاً، و لكن توالي أو تعاقب مجموعة من الكلمات أو العبارات لا تُشكل بالضرورة نصاً، لأن اللغة لا تظهر في الكلمات أو العبارات المستقلة، ولكن في الخطاب المتتابع حتى ولو كانت ملفوظاً مختزلاً في كلمة أو كتاباً ذي عشرة أجزاء، أو منولوجاً أو خطاباً سياسياً⁴. اعتماداً على ما سبق نستنتج أن النص يمكن أن يكون جملة أو كتاباً كاملاً من منظور اللسانيين.

¹ المرجع السابق: ص نفسها.

² خليل الموسى: النص لغة واصطلاحاً، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 823، الصفحة 20، نقل عن: الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قوماط: تحديد مفهوم النص، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018، جامعة تلمسان، ص 37.

³ أنظر الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه ومنزلة قوماط: تحديد مفهوم النص، ص 38.

⁴ المرجع نفسه: ص نفسها.

"وهو عندهم بنية شكلية أو مجردة أكبر من الجملة، وهذا يؤدي بنا إلى القول: «إنَّ نظام النَّصِّ يختلف عن نظام الجملة، ويشكل داخل متتالية من النَّشاط وحدة خفية تُحدد بعلامة.» وهو منفتح ومنغلق، منفتح على متتاليات الجمل، ومنغلق بنظامه الأكبر الذي تتكوَّن منه هذه المتتاليات"¹. ويلاحظ أنَّ النَّصَّ أكبر من الجملة فهو يختلف عنها.

أمَّا أصحاب الاتجاه البنيوي، فيعتبرون النَّصَّ نظامًا مغلقًا و تامًّا لا نضيف إليه شيئًا آخر أيَّ معانيه كامنة في بنيته اللُّغوية، فالبنوية تنظر إلى النَّصِّ كفضاء، لا كعرض خطِّي². وخلاصة القول أنَّ الاتجاه البنيوي يعتبر النَّصَّ نظامًا مغلقًا ولا يمكن أن نضيف إليه شيئًا.

والنَّصُّ في منظور التَّفكيكية ليست له شيئية أو تَشْيُؤ ذاتي، وليست له خصوصية أو قراءة خاصَّة به، وهو لا يحمل معنى مقننا تُفرزه اللُّغة فيه فكلَّ شيءٍ هو رهن اللَّحظة التي تتحوَّل إلى لحظة متناسخة على حالة الاستجابة من ذات إلى أخرى ومن ثم "فالنَّصُّ يتشكَّل من زاوية النَّظر إليه وعلى حسب رُؤية الناظر إليه في لحظة بعينها"³. نستنتج ممَّا سبق أنَّ النَّصَّ من منظور التَّفكيكية ليست له خصوصية فهو مرتبط ومرهون باللَّحظة.

ونحن نرى أنَّ النَّصَّ هو إبداعٌ لغويٌّ قبل كلِّ شيءٍ، وهو مُنفتح وقابل لقراءاتٍ متعددة ولا يمكن لأيِّ نقدٍ - أثناء دراسته لنصٍّ ما - الادِّعاء بأنَّه طَوَّق كلَّ معانيه ودرسه من جميع الجوانب.

المبحث الثالث: التَّنَاص

لقد عرف العرب قديمًا أشكالًا عديدة من التَّنَاص سواءً في الشَّعر أو النثر، لكن هذا المصطلح كان غريبًا عنهم - لم يكونوا يعرفونه من قبل - فلقد ظهر عندهم مصطلح التَّنَاص بما يُعرف بالسَّرقات الأدبية وشعر النَّقائض أو تداخل النُّصوص و لكنها مجرد إرهاساتٍ لظهور المصطلح.

¹ انظر الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قوماط: تحديد مفهوم النص، ص 38.

² بشير عبد العالي: التَّنَاص في الشعر العربي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في الأدب الحديث، جامعة تلمسان، سنة: 2001، ص 7.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

ودرسوا أيضاً تأثر الأديب بغيره في نصّ ما تحت عنوان "السَّرقات الأدبيّة" وانصبَّ اهتمامهم على الشعر خاصّة نظراً لأهميته في حياتهم، ولكون التّجاوز على أشعار الآخرين قد لا يطفوا على السّطح دائماً، وإتّما يمكن للشّاعر أن يخفيه ببراعةٍ وراء الصورة أو التّغيير بالعبارة وهكذا تابع النقاد كل فكرةٍ وكل قولٍ، باحثين عن جذوره وصاحبه الأوّل¹.

ثم تطوّر البحث الأدبيّ وارتقى مستوى النقاد، فهناك من أعاد النّظر في هذا الموضوع وقبّله من جوانبه المختلفة بدراسةٍ تحليليّة عميقة، وتقصى فيها أسباب التّأثر والتّشابه عند المبدعين وقرّر أنّ بعض هذا التّناس مبرّرٌ ومشروع تفرضه طبيعة الحياة الأدبية والثّقافة المشتركة². بناءً على ما سبق نستنتج أنّ البحث الأدبيّ تطوّر وارتقى، مما جعل النقاد يُعيدون النّظر في مسألة السَّرقات الأدبيّة ويقومون بدراسةٍ تحليليّةٍ للبحث عن سبب التّأثر وبالتالي رأوا أنّ هذا التّناس مبرّرٌ ومشروع لما تقتضيه طبيعة الحياة الأدبية. ومن بين هؤلاء نذكر:

- "محمد بن الحسن المظفر الحاتمي":

فرّق في كتابه "حلية المحاضرة" بين الانتحال والمواردة، وهي أن يتفق الشّاعران في المعنى ويتواردان في اللفظ، ولم يلق واحداً منهما الآخر، ولم يسمع بشعره، فالتّناس هنا محض مصادفة، أمّا الانتحال فهو أن يدّعي الشّاعر لنفسه ما هو لغيره³. نستخلص مما سبق أنّ الناقد "محمد بن الحسن المظفر الحاتمي" قد فرّق بين الانتحال والمواردة وشرح كليهما فالمواردة: كأن يتفق شاعرٌ مع شاعرٍ آخر في المعنى دون أن يسمع شعره أو أن يراه، وهنا بمثابة المصادفة أمّا الانتحال فهو سرقة ما ليس له وينسبه له.

- "أبو الهلال العسكري":

يصرّح في كتاب "الصناعتين" أنّه يؤمن بتوارد الخواطر في مجال الأفكار فقط لأنّ المعاني مشتركة

¹ عبد المطلب: الجديد في الأدب، السنة الثانية من التعليم الثانوي، جميع الشعب، قواعد، بلاغة، نقد أدبي و عروض، دار شريفة 2006، ص 382 و 383.

² المرجع نفسه: ص نفسها.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

بين العقلاء، ويختلف المبدعون في الألفاظ، وتأليفها ونظمها، ويُعَلَّل لتوارد الخواطر وتشابه المعاني فيرجعه إلى أثر البيئة¹. ويلاحظ أنّ "أبا الهلال العسكري" يؤمن بتقارب الأفكار المشتركة بين العقلاء، وأرجح ذلك إلى أثر البيئة.

- "عبد القاهر الجرجاني":

قسّم المعاني في كتابه "أسرار البلاغة" إلى قسمين: عقلي وتخيلي، فالعقلي: يتفق العقلاء على الأخذ به والحكم بموجبه في كل جيل وأمة، أما التخيلي: فهو من إبداع الشاعر ولا حقّ لأحد فيه، فأخذه يعدّ سرقة بلا شك². نستنتج ممّا سبق أنّ عبد القاهر الجرجاني قسّم كتابه "أسرار البلاغة" إلى قسمين: "العقلي" وهو الذي يتفق عليه الجميع فتكون الأفكار متشابهة، أما التخيلي فهو خاص بكلّ شخص على حدة فلكلّ إبداعه.

1- التعريف الاصطلاحي للتّناس عند العرب:

لقد تعرّض العلامة "ابن خلدون" إلى ما يشبه فكرة التّناس عندما قرّر «بأنّ الشاعر الذي قلّ حفظه للأشعار الجديدة لا يكون شاعراً، وإنما يكون شاعراً فاشلاً، وأولى لمن لا يكن له محفوظ من الشعر الجيد أن يتنكّب عن قرض الشعر، إذ لا ينبغي له أن يكون شاعراً كبيراً، وأديباً بارعاً إلاّ بعد الامتلاء من الحفظ، وشحذ القرية للنسخ على المنوال³». نستنتج ممّا سبق أنّ العلامة "ابن خلدون" قد أشار إلى مصطلح التّناس لما قال: إنّ الشاعر الذي يكون قليل حفظ الشعر يكون شاعراً فاشلاً، فالشاعر البارع في نظره هو الذي يكون كثير الحفظ للأشعار.

ويرى الدكتور "عبد الملك مرتاض" بأنّ "ابن خلدون" هو أول من اصطنع بوعي عجيب مصطلح التّناس [نسيان المحفوظات]، وهو الذي يدعوه "رولان بارت" [تضمينات من غير تنصيص] فنسيان النصّ يقضي إلى كتابة نصّ أصيل من جهة، ونصّ جيد - إذا كان المحفوظ المنسي هو أيضاً جيداً - من جهات أخرى، وقراءة النصوص السابقة في تصور النقاد السيميائيين وحفظ هذه النصوص

¹ عبد المطلب: الجديد في الأدب، ص 383.

² المرجع نفسه: ص 384 - 385.

³ بشير عبد العالي: التّناس في الشعر العربي، ص 37.

ثم نسيانها في تصور "ابن خلدون"، هما أساس التناصية التي تلازم كل مبدع مهما يكن شأنه الذي يتحكّم غالبا في صفة النص المكتوب¹. ويلاحظ أنّ "عبد الملك مرتاض" يرى بأنّ "ابن خلدون" هو من صنع مصطلح التناص، كما يعتقد "ابن خلدون" بأنّ حفظ النصوص ثم نسيانها هو أساس التناصية.

ومفهوم التناص ليس استاتيكية، إنّما يتنوع بتنوع المداخل فالبعض يتعامل معه "في إطار الشعريّة التكوينية"، وعند البعض الآخر "ضمن جماليات التلقي"، كما يتجه المفهوم للاقتزان "بمفهوم الحقل" بوصفه معارضة سجالية "لمفهوم البنية" التي تعترض على أفكار الإدماج والاقتزان، والجدولة، غير أنّ هذه الاختلافات لا تحرمه من الوظيفة النقدية المتماسكة، فهو أداة صيغية مخصّبة إذا استثمر توظيفها لإنجاز الجديد من القديم وبيان دور المصادر والتأثيرات الأدبية وغير الأدبية². نستنتج ممّا سبق أنّ مفهوم التناص متنوع ومتداخل وهو يستعين بما هو قديم لإنجاز الجديد.

2- التناص في الأدب الأوروبي :

إنّ مصطلح التناص في الغرب كان موجود منذ القدم (عصر اليونان و الرومان)، وظهر بالتحديد مع الفيلسوف "أرسطو"، وكان يعرف مصطلح التناص عند النقاد الأوروبيون بالتقليد أو الاحتذاء كما حاول النقاد الأوروبيون التفريق بين هذين المصطلحين (التقليد و الاحتذاء). وقد تنبّه المفكرون من اليونان والرومان إلى هذا المصطلح في أدبهم و قد أشار "أرسطو" إلى نوع منه حين ذكر: «أنّ هناك صورا تعبيرية يستخدمها الشعراء نقلاً عن نظرائهم الأقدمين». واعترف شعراء كبار بأنهم قدّوا مبدعين سابقين عليهم، بل لقد اعترف الشاعر الروماني الكبير "هوراس" أنّ بعض قصائده ليست إلّا مجرد نسخ يونانية³. ويلاحظ أنّ ظاهرة التناص في الأدب الأوروبي كانت موجودة منذ القدم وذلك حينما ذكر "أرسطو" بوجود صور تعبيرية ينقلها الشعراء

¹ المرجع السابق، ص 38.

² مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع منشأة الإسكندرية 1991م، ص 78.

³ عبد المطلب: الجديد في الأدب، ص 381.

عن نظرائهم القدامى، ومن بينهم الشاعر الروماني "هوراس" التي كانت بعض قصائده عبارة عن نسخٍ يونانية.

وقد فرّق النقاد الأوروبيون بين مفهوم التقليد أو الاحتذاء ومفهوم السرقة، فالأديب الذي أخذ من غيره المادة الخام ويُعمل فيها فكره حتى يُخرج منها فناً أصيلاً جديراً بالتقدير والإعجاب مثله كمثل: النحلة تمتصُّ الرحيق من أجمل الأزهار التي تختارها وتحولها شهداً، بل إنّ هؤلاء النقاد كانوا يفرضون (أحياناً) على الأديب أن يتعلّم أساليب غيره وأن يقلّد النماذج الفنية الرفيعة للسابقين، فلا ضرر ولا عجب في هذه المحاكاة¹. نستنتج مما سبق أنّ النقاد الأوروبيين فرقوا بين مفهوم التقليد وبين مفهوم السرقة، فالأديب عنده يجوز له تقليد غيره، فيأخذ المادة الخام وينتج بها شيئاً جديداً وقد شبّهوا هذه العملية بالنحلة التي تمتصُّ الرحيق من الأزهار وتحولها إلى شهيد، فهم لم يجاربوا هذه الفكرة (التقليد) على العكس ففي بعض الأحيان كان النقاد يفرضون على الأديب تعلم أساليب غيره والاحتذاء بها.

أمّا من يتّهمونه بالسرقة فهم أولئك الناقلون الذين لا إبداع لهم و إنما يعيشون على فنٍّ غيرهم فمثلهم كمثل النباتات الطفيلية لأنهم يقطفون أزهار حديقة لا يملكونها². وخلاصة القول نستخلص أنّ الأشخاص الذين كانوا يُتّهمون بالسرقة، هم أشخاص لا إبداع لهم، فهم يأخذون كل شيء كما هو، على عكس المحتذي فهو يأخذ الفكرة ويعيد صياغتها بأسلوبه وبالتالي يبدع شيئاً جديداً أمّا السرقة فنأخذ الشيء كما هو وننسبه إلى أنفسنا.

ولم يفتح النقاد الأوروبي - لا في القدم ولا في الحديث - باب عريضة لتهمة السرقة الأدبية ولقدرة نقادهم على كثير من هذه الادعاءات في هذا الميدان ردّاً قاسياً، وكمثال على ذلك: فقد اتهم أحدهم "شكسبير" بأنه استفاد من قصيدة "دي برتاس" في وصفه للفرس، ولم تخلُ ساحة القوم من نقاد متشددين وجّهوا هُمة السرقة لكل مقلّد، بل إنّ بعضهم اعتبر الأدب الروماني كله سرقة من

¹ المرجع السابق، ص 381.

² المرجع نفسه، ص نفسها.

الأدب اليوناني، بينما كان المذهب الكلاسيكي يعتبر أعمال السابقين الكبار من الشعراء،
المثل

الأعلى والمقياس الذي يقاس عليه إنتاج الأديب المعاصر¹. ونستنتج مما سبق أنّ النقد الأوروبي لم يفتح المجال للسرقة اطلاقاً، وقدرة نقاده على ردّ تلك الادّعاءات ردّاً قاسياً، كما أنّ السّاحة الأدبية لم تخلّ من مُهمة السرقة، فقد اعتبر بعضهم أنّ الأدب الروماني كله سرقة من الأدب اليوناني، بينما كان المذهب الكلاسيكي يقتدي بكبار الشعراء في إنتاجه الأدبي.

3- التعريف الاصطلاحي للتّناس عند الغرب:

إنّ مصطلح التّناس في النقد العربي الحديث هو ترجمة للمصطلح الفرنسي Intertext حيث تعني كلمة Inter في الفرنسية: التبادل بينما تعني كلمة Texte: النصّ وأصلها مشتقّ من الفعل اللاتيني Textere وهو متعدّد و يعني (نسج) أو (حَبَك) وبذلك يصبح معنى Intertexte التّبادل النصّي وقد ترجم إلى العربية: بالتّناس الذي يعني تعالق النصوص ببعضها البعض، وصيغته التناصيص مصدر الفعل (تفاعيل) تأتي على اثنين أو أكثر وهو تداخل النصوص ببعضها عند الكاتب طلباً لتقوية الأثر². اعتماداً على ما سبق نستنتج أنّ مصطلح التّناس هو ترجمة للمصطلح الفرنسي Intertext، أمّا التّناس عندما تُرجم للعربية فأصبح يعني تعالق النصوص ببعضها البعض.

لا يوجد تعبيرٌ لا تربطه علاقة بتعبيرات أخرى، وهذه العلاقة جوهرية تماماً، ولذلك فإنّ النظرية العامة للتعبير هي في منظور "باحثين"، انعطافة لا يمكن تفاديها كي نصل إلى دراسة هذا المظهر من مظاهر المسألة، والمصطلح الذي يستخدمه للدلالة على العلاقة بين أيّ تعبير والتّعبيرات الأخرى هو مصطلح الحوارية Dialogism ولكن هذا المصطلح المفتاحي، كما يمكن للمرء أن يتوقع، مُثقل بتعددية مريكة في المعنى، ولذا فضّلت أن أفعل ما فعلته سابقاً عندما ترجمت مصطلح Metalinguistics إلى Translinguistics: وهكذا سوف أستعمل، لتأدية معنى أكثر شمولاً، مصطلح التّناس Intertextuality الذي استخدمته "جوليا كريستيفا" Julia Kristiva في تقديمها "لباحثين"

¹ عبد المطلب: الجديد في الأدب، ص 381 – 382.

² أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد دراسة، سلسلة رسائل جامعية بغداد، الطبعة 1، 2004، ص 14.

مدّخرا مصطلح الحوارية لأمثلة خاصة من التناص مثل تبادل الاستجابات بين متكلمين أو لفهم "باختين" الخاص للهوية الشخصية للإنسان، يدعو "باختين" نفسه إلى مثل هذا التمييز الاصطلاحي في الملاحظة التالية: «يمكن قياس هذه العلاقات [التي تربط خطاب الآخر بخطاب الأنا] بالعلاقات التي تحدّد عمليات تبادل الحوار (رغم أنها بالتأكيد ليست متماثلة)»¹. وخلاصة القول إنّ مصطلح التناص قد استخدمه كلّ من "ميخائيل باختين"، و"جوليا كريستيفا" و لكلّ منهما كانت نظرتة الخاصّة بخصوص مصطلح التناص.

4- أشكال التناص:

هناك ثلاث أشكال للتناص وهي:

- الاجترار:

هو تكرار النصّ الغائب من دون تغيير أو تحويل، وهذا القانون يُسهم في مسخ النصّ الغائب لأنه لم يطره ولم يحاوره واكتفى بإعادته كما هو أو مع تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء². ويلاحظ أنّ هذا النوع يأتي بالنصّ كما هو دون أن يغيّر فيه.

- الامتصاص:

وفيه يتعامل (الكاتب) مع النصّ تعاملًا حركيًا تحويليًا لا ينفي في الأصل بل يسهم في استمراره جوهرًا قابلاً للتجديد³. وفيه يقوم الكاتب بتحويل النصّ ولكن لا ينفي أصله بل يساهم في تجديده وتطوره بأسلوبه.

- الحوار:

وهو أعلى مرحلة في قراءة النصّ الغائب، إذ يعتمد النصّ المؤسس على أرضية عملية صلبة

¹ ميخائيل باختين، تودوروف تزفيتان: المبدأ الحوارية، ترجمة: فخري صالح، الطبعة 2 سنة 1996م، <http://libary4arab.com/vb> ص 121.

² كلثوم حشاني: التناص في مقالات البشير الإبراهيمي (المقالة الدينية و الاجتماعية و السياسية) عينة، مذكرة تخرج من متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية، تخصص: لسانيات عامة، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2017، ص 17.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

تختم مظاهر الاستيلا ب مهمما كان حجمه وشكله¹. وهذا النوع من التناص يعتبر من أهم المراحل في قراءة النص الغائب.

5- أنواع التناص:

للتناص أربعة أنواع حسب المادة الموظفة من النص الغائب إلى النص الحاضر، وهي:

(أ)- التناص الديني:

يعدّ التناص الديني وخاصة من القرآن الكريم، الأكثر شيوعاً في قصائد الشعراء، حيث عمد الشعراء إلى القرآن الكريم لتوصيل دلالاتهم للقارئ وتكثيفها من خلال انتقائهم للآيات التي تناسب وطبيعة القصيدة والمتوافقة والجو النفسي للشاعر². نلاحظ من خلال هذا القول أنّ التناص الديني يكون من القرآن الكريم شائع بكثرة في قصائد الشعراء وهو مرتبط بالجو النفسي لديهم.

(ب)- التناص التاريخي:

تعتبر المادة التاريخية رصيذاً معرفياً، وثراءً دلاليّاً للشاعر، فنراه يشغل معطياتها للتعبير عن قضاياها وهمومها وبخاصة القضايا التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالشاعر وبيئته وجنسه وقوميته في إضفاء قيم تاريخية وحضارية على نتاجه، بحيث تصبح هذه الأحداث التاريخية المستحضرة في النص أكثر حضوراً في وجدان المتلقي بما تحمله من قيم معرفية، وروحية وجمالية³. وفيه يستمد الشاعر منه مادته التاريخ ليبر من خلالها عن همومه وأحزانه التي عاشها في الماضي.

(ج)- التناص الأدبي :

يأتي التناص مع التراث الأدبي المتمثل في الشعر والأمثال والحكم العربية القديمة معزّزاً ومكثفاً لدلالات الكلمات والمعاني التي يطرحها الشعراء من خلال قصائدهم، فالاستعانة ببيت شعر قديم أو حكمة أو مثل عربي يجعل العبارات ذات معانٍ فياضة تزخر بالدلالات وتفتح أكثر من طريق

¹ المرجع نفسه: ص نفسها.

² عبد الفتاح داود كاك: التناص دراسة نقدية في التأصيل نشأة المصطلح ومقارنته ببعض القضايا النقدية القديمة، "دراسة وصفية تحليلية"، 2015 ص 47.

³ المرجع نفسه: ص 50.

للتأويل والتّحليل¹. وهذا النوع من التّناس يعُدُّ تراثًا زاخرًا ومهما، لأنّه يدعّم قصائد الشاعر بالتّراث القديم كالأمثال والحكم العربية القديمة مما يجعل معانيه زاخرة ومهمة.

(د) - التّناس الأسطوري:

وهو لجوء الشاعر للأساطير يستلهم منها ما يتوافق وُجوه النفسي، بحيث يوظفها في نصّه ويتماها معها تماما لإغناء تجربته الشعورية، فالأسطورة تعبّر عن هموم الشاعر وواقعه تعبيرًا عميقًا وتساعد على التّجسيد، وتعيد إلى الشعر فطرته الأولى، كما أنّها تمنح وتهب القصيدة البعد الماورائي والبعد الوجودي الفعلي والإيحائية اللامتناهية، وتمكّن الشاعر من استعادة حالة البكارة الأولى في صلته بالحياة والكون². وخلاصة القول نقول: إنّ التّناس الأسطوري يساهم في إغناء التجربة الشعورية لدى الشاعر، لأنّ الأسطورة تعبر عمّا يعيشه ويحسه الشاعر من آلام وأحزانٍ وهموم وتهب القصيدة بُعد ميتافيزيقي (ماورائي).

6- موقف النّقد المعاصر:

رفض نقادنا المعاصرون أن تكون غاية النّقد هي البحث عن سرقة الشاعر، وخاصة بعد تطور وسائل النشر والطباعة والإذاعات، والملتقيات الأدبية، وأول ناقد تصدّى لرفض هذا الاتجاه هو "قسطكي حمصي الحلبي" الذي عاب عملية التّنقيب في أقوال الشعراء القدامى بحثًا عن بيت أو سطر مشابه³. وبالتالي نستنتج أنّ النقاد المعاصرين قد رفضوا التّدقيق في البحث عن سرقة الشاعر من غيره خاصة بعد ظهور وسائل النشر و الإعلام.

ثمّ هاجم "شوقي ضيف" محاكم النّقد التي تفصل في خصومات السرقة وبين أنّها لم تخدم الحركة الأدبية في أيّ جانب من جوانبها، وأشار إلى أنّ توارد المعاني بين المبدعين مسألة كبيرة من مسائل العملية الفنية، وينبغي البحث عن جذورها في قضية الأصالة والتقليد، ومعرفة الإطار الثقافي للأديب

¹ المرجع نفسه، ص 54.

² المرجع السابق: ص 57.

³ عبد المطلب: الجديد في الأدب، ص 386-387.

وللعصر¹. نلاحظ أنّ شوقي ضيفقد هاجم محاكم النقد لأئها في نظره لا تخدم أبدا الحركة الأدبية كما أشار إلى أن توارد المعاني بين المبدعين هو مسألة كبيرة، وأقرّ بالبحث عن جذورها ومعرفة الإطار الثقافي للأديب والعصر.

وتابع "نجيب البهيتي" هذين الناقلين، فكشف أنّ من أسباب ضعف الشعر العربي المحافظ تنقيب الشعراء عن معنى جديد لم يسمع الناس به ولو كان تافها كما التوت أساليب التعبير عندهم كلّ ذلك من أجل إخفاء المعنى القديم خوفاً من همة السرقة².

7- ظهوره كمصطلح:

لقد تبين لنا أثناء تعريف التناص وما أحاط به من أفكار ومن الجهود الممتازة التي قام بها النقاد العرب قديما وحديثا، أنّ التناص مصطلح جديد لظاهرة أدبية وتقنية قديمة في أدبنا العربي وهي ظاهرة تداخل النصوص وقد انتقلت هذه التسمية إلينا لاحقا بتأثير الاحتكاك بالآداب الغربية³. نستنتج مما سبق أنّ التناص مصطلح جديد لظاهرة أدبية قديمة في الأدب العربي وكانت تسمى آنذاك بتداخل النصوص، وقد انتقل هذا المصطلح - التناص - بفعل الاحتكاك بالآداب الغربية.

8- أصنافه (حسب حالة المبدع):

هناك صنفان للتناص وهما:

أ) التناص الشعوري:

وفيه يكون الأديب واعيا ويتخذ أشكالا متنوعة منها:

- الاعتماد على الموروث العام:

ومن أمثله: التزام شعرائنا القدامى بتقنية واحدة في قصائد المديح، وهي: ابتداؤها بالوقوف على الأطلال، ووصف الراحلين والبكاء عندها، ثم وصف متاعب الرحلة والوصول إلى الممدوح طلبا لكرمه¹. ويلاحظ أنّ التناص قد صنف لصنفين: تناص شعوري؛ ويعتمد على مدى وعي الأديب

¹ المرجع نفسه: ص نفسها.

² المرجع السابق: ص نفسها.

³ المرجع نفسه: ص 388.

حيث يتخذ أشكالاً متنوعة كالاعتماد على الموروث العام القديم، وهنا يلتزم الشاعر في قصيدته بالمدح والوقوف على الأطلال والبكاء عليها، ثم بعد ذلك ينتقل لوصف رحلته.

- التّضمين والاقْتباس والاستشهاد: ويرمز له عادة بحاضنتين².

ب) التّناسُّ اللّاشعوري:

ويكون المؤلف غير واعٍ به، وإنما يتسرب إليه، بل هو من أعماق شخصيته؛ وهذا النوع هو الذي يعيننا حقاً في الدراسة الأدبية والنقدية³.

9- تصنيف التّناسُّ عند "جوليا كريستيفا":

وتقسّم "جوليا كريستيفا" التّناسُّ إلى ثلاث أنواع، وهي:

أ) تناسُّ النّفّي التّام أو التّدميري **Negation Totale**:

وفيه تكون الوصلة الأجنبية منفية تماماً، ويكون المعنى المرجعي للنّص مقلوباً⁴. وهنا تقصد "كريستيفا" بتناسُّ النّفّي أو التّدميري موت النّص الأوّل في النّص الثّاني؛ أي إعادة كتابة النص من جديد انطلاقاً من فكرة سابقة.

ب) تناسُّ النّفّي التّمائلي أو التّطابقي **Negation Symetrique**:

وفيه يكون المعنى العام والمنطقي للمقطعين أو النّصين متماثلاً⁵. وهنا ترى "جوليا" أنّ هناك تطابق بين النّصين أو المقطعين في المعنى العام والمنطقي ولا يوجد اختلاف.

ج) تناسُّ النّفّي الجزئي أو الانفصالي **Negation Partielle**:

وفيه يكون جزء من النّص الثّاني منفصلاً عن النّص الأوّل¹. أمّا في التّناسُّ الانفصالي فيكون النّصّان منفصلان عن بعضهما البعض عكس التّناسُّ التّطابقي.

¹ المرجع نفسه: ص 389.

² عبد المطلب: الجديد في الأدب، ص 389.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

⁴ بشير عبد العالي: التّناسُّ في الشعر العربي، ص 43.

⁵ المرجع نفسه: ص نفسها.

¹ المرجع نفسه، ص نفسها.

الفصل الثاني: دراسة نصية تناصية لنونية أبي

البقاء الرندي

- المبحث الأول: دراسة نصية للقصيدة

- المبحث الثاني: دراسة تناصية للقصيدة

1- توطئة:

لقد احتلّ غرض الرثاء مكانة عالية في الشعر الأندلسي على غرار الأغراض الشعرية الأخرى وبالأخص رثاء المدن، ففي القديم كان هناك الرثاء للميت، أمّا رثاء المدن فهو غرض جديد، فالشاعر بدلا من أن يرثي الميت أصبح يرثي المدن الأندلسية بعد أن سقطت الواحدة تلو الأخرى، وتدمرت وقد انتشر هذا الغرض- رثاء المدن- في العصر الأندلسي بكثرة وذلك إبان سقوط معظم المدن الأندلسية آنذاك ولعلّ من أشهر الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض نجد: "أبي موسى هارون" و"أبو المطرف بن عميرة"، و"ابن الآبار"، و"أبي البقاء الرندي"؛ صاحب النونية و الذي يعتبر من أشهر شعراء الأندلس في هذا الغرض.

2- مناسبة القصيدة:

نظم أبو البقاء الرندي قصيدته هذه بكاءً على الأندلس، ورثاءً لها ومدنّها المنفرطة من عقدها التّقيس الواحدة تلو الأخرى، بعد أن تغلب ملوك الإسبان عليها، وهو يستنصر فيها أهل العُدوة الإفريقية من المرينيين، ويستنفرهم، ويستصرخهم، حين أخذ "ابن الأحمر" محمد بن يوسف" - أول سلاطين غرناطة- في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن محاولة منه لإرضائهم، وأملا في أن يُقيّد ذلك على حكمه¹. وخالصة القول أنّ الشاعر نظم هذه القصيدة بسبب الأوضاع المزرية والأليمة التي أصابت الأندلس وهذا بسبب ملوك الإسبان الذين استولوا عليها، فالشاعر يرثي هذه المدن ويستغيث ويطلب النجدة.

المبحث الأول: الدراسة النصية للقصيدة:

1- المعجم الشعري:

بعد قراءة هذه القصيدة وفهمها، قد لاحظنا أنّ المعجم الشعري للشاعر يدور حول "الرثاء" لأنّ الشاعر "أبي البقاء الرندي" يرثي الأندلس، ومدنها التي سقطت في أيدي الكفار (الإسبان)

¹ هيام عبد الكريم المعمرى: سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد 2، السنة 11، ديسمبر 2019 ص70.

وبالتالي فهو يشعر بالحزن والألم عن المصير الصَّعب الذي حلَّ بالأندلس، وبمدنّها فهو يستصرخ طالباً النجدة. ومن هنا نستطيع القول إن المعجم الشعري يتراوح بين الرثاء و الحزن والدعوة لاستنهاض الهمم كما تدل الألفاظ التالية: حل بالإسلام سُلوان، عزاء، بلنسية ومرسية وشاطبة وجيان، قرطبة حمص، تبكي، المصيبة، يستغيث، المستضعفون، قتلى وأسرى، عبدان، ثياب الذل، دار الزمان.

2-مرحلة فهم القصيدة:

يعبّر الشاعر في قصيدته هاته عن مدى حزنه الشَّديد وتأثره العميق، فهو يرثي بلاد الأندلس لما وقع للمسلمين من دمار ودعوته لاستنهاض الأمم العربية لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس وإنقاذها من يد الأعداء، حيث استهلها بموعظة وحكمة بأنّ كل شيءٍ فانٍ في هذه الدنيا فلا يجب على الإنسان أن يغرّز لأن دوام الحال من المحال، فالكمال والبقاء لله وحده سبحانه وتعالىم تحدّث عن الأحداث التاريخية التي وقعت في الأندلس، فهو يتساءل عن الملوك والسلاطين، فرغم جاههم ومُلْكهم اندثروا وكأنهم لم يكونوا من قبل، لينتقل بعد ذلك إلى وصف الفاجعة الأليمة التي حلّت بالأندلس، وهنا يستذكر غزوة أحد وهو يحس بالحزن والحسرة لما أصاب الإسلام من تشتت ويذكر الأماكن التي كانت للعلم والمعرفة والتي حوّلها الكفّار إلى كنائس، ثم انتقل إلى دعوة المسلمين للتمسك بالإسلام ونَبذ الخصام ودعاهم لأخذ العبرة لما حدث لإخوانهم المسلمين في الأندلس فبعد أن كانوا أسياد في بلادهم يتمتعون بكرامتهم وعزهم أصبحوا اليوم عبيداً في بلاد النصارى، ثم صور لنا الشاعر بُكاء المسلمين على ما أصابهم وهو يشعر بالحزن والأسى لأنهم أصبحوا سلعة بيد الكفار ليختم قصيدته في الأخير برسم صورة الحزن والكآبة عن مصير المرأة المسلمة وطفلها.

3-من حيث المضمون:

تدور هذه القصيدة حول فكرة عامة، وهي: المأساة التي حلت ببلاد الأندلس، وقد صور لنا شعوره بالحزن والأسى لما وقع للمسلمين من دمار ودعوته لاستنهاض الأمم العربية لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس، وإنقاذها من يد الإسبان.

وقد انضوى تحت هذه الفكرة أفكار جزئية أخرى، ساندت ودعمت الفكرة الأساسية:

- الوعظ بأن كل شئ فان في هذه الحياة .

- تحذير الإنسان من الغرور.

- مصير الملوك وماذا حل بهم.

- وصفما حلّ ببلاد الأندلس.

- دعوة المسلمين إلى التمسك بدين الإسلام، والبعد عن النزاع والخلاف.

استهل الشاعر القصيدة بحكمة عامة مفادها أنّ النقصان سنة الخلق في كلّ شئ عند تمامه وهذا ما تنهض به اللغة في العبارة (لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ) ، وأرسل الشاعر حكمة مطلقة في باقي الأبيات استلهمها من حوادث الدهر، وفي هذا "المقطع والصُّور يقوم بينها من التداعي الطبيعي ما تُحس معه أنّ عجز البيت قد أتى بعد صدره على نحو يُخيل إلينا أننا كنا نتوقعه"، ثم يتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ كلّ شئ يفنى وينتهي، وهذا ما تنهض به اللغة في العبارة (وَ يَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ)، وهو استهلال عام يُهدد إلى سقوط الأندلس، حتى يُخفف من هول الفاجعة على القارئ ويجعله يُتابع باقي أبيات القصيدة، والفناء أمر محتوم ينزل بساحة كلّ كائن حيّ فلا حصن يحميه ولا أهل يُنجيه ولا عرش يُبقيه وكلّ بناء فوق هذا الكون يندثر مهما برع المهندس في تصميمه وتفنن في إحكامه، يقول الله عزّ وجل: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ¹﴾ وهي الحقيقة المرة التي أبكت "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه يوم حجة الوداع². وخلاصة القول أن الشاعر "الرندي" اعتمد على الحكمة في استهلال قصيدته وأن كلّ شئ فان في هذه الحياة والبقاء لله سبحانه وتعالى، كما يحاول الشاعر التخفيف من هول الفاجعة التي حلت بأهل الأندلس.

4- من حيث الشكل:

أ) الألفاظ: جاءت ألفاظ القصيدة سهلة وواضحة يستطيع القارئ إدراك معانيها دون اللجوء إلى القواميس، ومن أمثلة ذلك نذكر: لا تُبقي على أحد، دار الزمان، مسرات وأحزان، عزاء، أصابها

¹ سورة الرحمان: الآية 26.

² عبد السميع موفق: تفاعل البنى في نونية أبي البقاء الرندي مقارنة أسلوبية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة بجاية، العدد الخامس 2013 ص

الفصل الثانيدراسة نصية تناصية لنونية أبي البقاء الرندي

العين، خالية، موعظة، المصيبة، نسيان، والعين باكية والقلب حيران.

(ب)العبارات: جاءت عبارات القصيدة مكوّنة من كلمات وجمل قصيرة، وموحية مثل: لكل شئ إذا

ما تم نُقصان، يمزق الدهر، وينتضي كلّ سيف للفناء، والعين باكية والقلب حيران..

(ج)المعاني: صور لنا الشاعر معاني الحزن والحسرة نلمس ذلك في المعاني التالية: وهذه الدار لا تبقي

على أحد، أين الملوك ذوو التيجان، فكأن القوم ما كانوا، دار الزمان، أحزان، وللحوادث سلوان، لا

عزاء، تبكي الحنيفية، كما بكى لفراق، تبكي، المصيبة، والعين باكية والقلب حيران.

كماوردت في القصيدة معان تدلّ على الفناء مثل:نقصان، هذه الدار لا تبقي على أحد فكأنّ

القوم ما كانوا. وألفاظ تدل على النجدة والاستغاثة: وأنتم يا عباد الله إخوان، ابن ذي يزن

شداد(يلجأ الشاعر إلى ذكر هذه الأسماء لأنه بحاجة إلى أشخاص يمثل بطولتهم و شجاعتهم)

ويستغيث المستضعفون، كما استعمل الشاعر معاني الذل:عبدان، ثياب الذل.

5-المحسنات البديعية:

من خلال تحليلنا للقصيدة لاحظنا أنّها مليئة بالمحسنات البديعية، نذكر منها:

(أ)الطباق:وهو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، و قد يكونان اسمين¹، كقوله تعالى:﴿هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾².

ونجده في قول الشاعر:

تمّ # نُقصان:طباق إيجاب.

مسّرات # أحزان:طباق إيجاب.

الأمس # اليوم:طباق إيجاب.

فالقصييدة حافلة بالطباق، وهو مهم في نقل أحاسيس الشاعر إضافة إلى أنه يفيد في تأكيد المعنى

وتوضيحه.

¹أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 365.

²سورة الحديد: الآية 3.

ب)المقابلة:وهي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿وَيُحَلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾¹.

ونجدها في قول الشاعر:

بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ * وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ

وهنا نجد معنيين متضادين وهما: بالأمس واليوم، ملوك وعبدان، وقد أفادت المقابلة التأكيد وتوضيح المعنى كما أنّها أضفت طابعا جماليا على القصيدة.

ج)التصريع:فأمّا التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقصه بنقصه، وتزيد بزيادته².

ونجده في البيت الأول من القصيدة فقط في كلمة نقصان وإنسان، في قول الشاعر:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * فَلَا يُغَرَّرُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

د)الجناس:الجناس من فنون البديع اللفظية، ومن أوائل من فطنوا إليه "عبد الله بن المعتز" فقد عدّه في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده، وعرفه ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى³.

وقد ورد الجناس في قول الشاعر:

التيجان ، تيجان :جناس ناقص.

دار ، دارا : جناس ناقص.

شاده، شدّاد: جناس ناقص.

مُلك ، ملكٍ:جناس ناقص.

عيدانُ، عبْدانُ: جناس ناقص.

وقد أضفى على القصيدة جمالا تطرب له أذن السامع.

6-الصور البيانية:وظف الشاعر في قصيدته مجموعة من الصور البيانية لتأكيد المعاني وتوضيحها

¹سورة الأعراف، الآية 157.

²المرجع الإلكتروني للمعلوماتية www.almerja.com/reading

³عبد العزيز عتيق: علم البديع في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ص 195.

الفصل الثانيدراسة نصية تناصية لنونية أبي البقاء الرندي

للقارئ، وسنكتفي في هذا الصدد بضرب بعض الأمثلة لتأكيد ما ذهبنا إليه.

أ) التشبيه:

لغة: التمثيل، يقال هذا شبه وهذا مثيله.

اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة، لغرض يقصده المتكلم¹.

القصييدة حافلة بالتشبيهاً، نذكر منها:

وطفلةٍ مثلِ حُسنِ الشَّمسِ إذ طلَّعتْ * كأنَّما هيَ ياقوتٌ ومرجانٌ

فقد شبه الشاعر الطفلة أو الفتاة بالياقوت والمرجان ليؤكد للقارئ أنَّ هذه الفتاة هي جوهرة ولا يجب أن تُهان فهي جميلة مثل الشمس، نقية كالياقوت، وثمينة كالمرجان، فهذا البيت يحتوي على عدة تشبيهاً.

ونجده أيضاً في قوله:

يا ربَّ أمِّ وطفلٍ حيلٍ بينهما * كما تُفرِّقُ أرواحَ وأبدانُ

فقد شبّه الشاعر فراق الطفل عن أمّه بفراق الروح عن الجسد.

ب) الكناية:

لغة: ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره، وهي مصدر كنيئ، أو كُنوت بكذا، إذا تركت التصريح به.

اصطلاحاً: لفظ أريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته².

ونجدها في قول الشاعر:

يا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيْلِ ضَامِرَةً * كأنَّها في مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ

¹ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 249.

² ص 345. المرجع نفسه:

نجد في الشطر الأول من البيت: يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً، كناية عن رشاقة الخيل وحسن

تدريبها واستعدادها للقتال.

ج) الاستعارة :

هي استعمال لفظ في غير معناه الأصلي، لعلاقة التشابه بين المعنى الأصلي للكلمة، وبين المعنى المراد منها مع وجود دليل لفظي أو معنوي يمنع الذهن من إرادة المعنى الأصلي للكلمة¹. ونجدها في قوله:

تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ * كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ

حيث شبه الشاعر الحنيفية التي تبكي من شدة حزنها لما حلّ ببلاد الأندلس، بالمحب أو الإنسان الذي يفقد أحبائه فحذف المشبه به والذي هو: الإنسان، ورمز له بأحد لوازمه: تبكي، وهي استعارة مكنية.

7- الوزن والإيقاع:

أ) الإيقاع:

إنّ أغلب الدراسات والأبحاث التي تناولت الإيقاع في الشعر درسًا وتحليلًا كانت تتجه إلى دراسة الوزن والقافية، بينما تغفل إغفالًا يكاد يكون تامًا لمكون الإيقاع، الذي يمكن رصده انطلاقًا من مستويات أخرى كالمستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي². ولقد ساهم تكرار الكلمات في القصيدة بإضافة إيقاع للقصيدة، ومنها:

شَدَاد: تكررت مرتين في القصيدة ونجد ذلك الأبيات التالية:

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرِمٍ * وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونٌ مِنْ ذَهَبٍ * وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ

¹الموقع الإلكتروني للمعلوماتية، Ajdawer.blogspot.com

²الموقع الإلكتروني للمعلوماتية، القدس www.alquds.co.uk

الإسلام: تكررت هذه الكلمة ثلاث مرات في القصيدة وقد ورد ذلك في:

وَلِلْحَوَادِثِ سُلْوَانٌ يُسَهِّلُهَا * وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْوَانُ
أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإِسْلَامِ فَاْمْتَحَنَتْ * حَتَّى حَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَةٍ * قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ

إنسان: تكررت مرتين في القصيدة ونجد ذلك الأبيات التالية:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * فَلَا يُعَرِّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ
كَمْ يَسْتَعِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ * قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ

أحزان: تكررت مرتين و قد ورد ذلك في:

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ * وَلِلزَّمَانِ مَسْرَاتٌ وَأَحْزَانُ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمُ عِنْدَ بَيْعِهِمْ * لَهَالِكِ الأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ

فقد ساهم تكرار هذه الكلمات في إضفاء نغمٍ موسيقي حزين يدل على الإحساس بالغبين والأسى ويدل على الشعور الذي يحسه ويعيشه الشاعر لما حلَّ لبلاد الإسلام والمسلمين (الأندلس).

(ب) الوزن:

هو ركن أساسي في الشعر العربي وليس قالبا مفروضا في القصيدة... فهو يشكل الإطار الخارجي الذي يحافظ على نظام القصيدة¹. وتعدّ نونية "أبي البقاء الرندي" من أروع ما قيل في رثاء الأندلس، وقد اختار الشاعر من بين بحور الشعر: بحر "البيسط" وزنا لقصيدته، وقد اختار هذا الوزن نظراً لجماله الإيقاعي وطوله، بحيث يعطي فسحة التعبير والإفصاح عن مكنوناته وعمّا يجول بداخله ويحتوي بحر "البيسط" على ثماني تفعيلات وهي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ *** مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ.

ونذكر بيت من القصيدة للتحليل والبرهنة على قولنا:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * فَلَا يُعَرِّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

¹ زياد طارق لفتة: أبو البقاء الرندي حياته وشعره، مجلة علمية وثقافية، العدد 7، السنة الرابعة 2017، الجزء الأول، ص 347.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ

0/0/0//0/0/0//0/0//0//

مُتَّفَعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فِعْلُنْ.

فَلَا يُعَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

فَلَا يُعَرَّرَ بِطِيبِ لَعِيشِ إِنْسَانُ

0/0/0//0/0/0///0//0//

مُتَّفَعِلُنْ فِعْلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فِعْلُنْ

مُتَّفَعِلُنْ: أصابها زحاف الحزن؛ وهو حذف الثاني الساكن، فتصبح: مُتَّفَعِلُنْ.

فَاعِلُنْ: أصابها زحاف الحزن، فتصبح: فَعِلُنْ. إضافة إلى ذلك زحاف الإضمار؛ وهو إسكان الحرف

الثاني المتحرّك؛ فتصبح: فِعْلُنْ.

ج) القافية:

هي مؤخر العنق و الجمع: قواف و قافيات¹.

وقد تمثلت في كلمات: سان، مان،... ولهذا سميت القصيدة بالنونية بسبب حرف النون في القافية

وحرف النون يدلّ على الرّحوة والهدوء، ويعبّر أيضا على الحزن الذي كان يعيشه الشاعر.

المبحث الثاني: دراسة تناصية للقصيدة:

1- التناص التاريخي (تناص المدن):

استعان الشاعر أثناء ابداع قصيدته بمجموعة من المدن الأندلسية دون غيرها من المدن الأخرى

مثل: بلنسية، شاطبة، جيان، قرطبة، مرسية، حمص.

¹ إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في الجموع، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة 1، 2004، ص 351.

❖ بلنسية:

أ) جغرافيتها:

حاضرة من حواضر الأندلس الكبرى ما حضر منها و ما غير، و مَصْر من الأمصار المعدودة في ما عمره البشر، كانت إحدى العواصم الست التي ترجع إليها إسبانية العربية، وهي قرطبة في الوسط و طليطلة في الوسط إلى الشمال، و سرقسطة في الشمال إلى الشرق، وإشبيلية في الغرب، و غرناطة في الجنوب، و بلنسية Valencia هذه في الشرق، و ما زالت هذه المدرة منذ خيم الإسلام بعقرتها إلى أن تقلص ظلها عنها دار علم و تفكير و فضل و نعيم و ملك كبير، عدا ما تحلت به من مرجها النضير و مخرتها الذي ليس له نظير، و كانت دائما معقل عروبة و مركز عربية، و موطن بحث و تحقيق، و محط تصنيف و تنميق، و فيها من كل نزعة عربية صحيحة و كل عرق في العرب عريق¹. و خلاصة القول أنّ بلنسية تعد من العواصم الست التي ترجع إليها إسبانية العربية، و كانت معقل عروبة و مركز عربية.

وكان الأقدمون يقولون: إنّ بلنسية قطعة سقطت من السماء، و نقل "بديكر" أنّ العرب كانوا يسمونها مدينة "أبي طرب"، و أنهم فارقوها أكثر من النواح عليها و رثوها بالقصائد، و أنشد شعرا بالإسبانيولي قال: إنّ ترجمة نشيد عربي قال العرب في بلنسية عندما فارقوها، و معناه أنّه كلما ظهرت محاسنها ازدادت الحسرة عليها². انطلاقا مما سبق أنّ بلنسية أطلق عليها الأقدمون بأنها قطعة سقطت من السماء و عندما فارقوها أكثر من النواح و رثوها بالقصائد.

قال الشريف "الإدريسي": بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس، و هي في مُستو من الأرض غامرة القطر كثيرة التجار و العُمار، و بها أسواق و تجارات و حط و إقلاع، و بينها و بين البحر ثلاثة أميال مع النهر... إلى آخر ما قال مما تقدم نقله³. و عليه فإنّ بلنسية تعد قاعدة من قواعد الأندلس و بها أسواق و بُحار و هي بعيدة عن البحر بثلاثة أميال فقط.

¹ شكيب الأمير أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، الجزء الثالث، ص 53.

² المرجع نفسه، ص 54.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

وهذا كم من بلدة في الأرض تتمنى أن يكون لها جنان بلنسية ونخيل البصرة، ثم قال "ياقوت":
ويُنسب إلى بلنسية جماعة من أهل العلم بكل فن منهم "سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد أبو
الحسن الأنصاري البلنسي"، فقيه صالح ومحدّث مكثّر، سافر الكثير وركب البحر حتى وصل إلى
الصين، وانتسب لذلك صينيًا، وعاد إلى بغداد وأقام بها، وسمع بها "أبا الخطاب بن البطير"، و"طراد
بن محمد الزينبي" وغيرهما، ومات ببغداد في المحرم سنة خمسمائة و واحد وأربعون 541هـ، وقد
استغرنا من "ياقوت" كونه لم يذكر من مشاهير علماء بلنسية غير واحد، وسترى أنّه نبغ منهم فيها
مئات¹. ويلاحظ أنّ بلنسية ينسب إليها أهل العلم على حسب قول "ياقوت" "كأبو الحسن
الأنصاري البلنسي"، ولكنها تضم مئات من المشاهير.

(ب) تاريخها:

قلنا: في أيام "القلقشندي" -صاحب صبح الأعشى- كان قد مضى على خروج العرب من
بلنسية 185 مائة وخمسة وثمانون سنة، لأن بلنسية سقطت ستمائة وستة وثلاثون، ولأنّ "أبا العباس
أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي" -مؤلف صبح الأعشى- توفي ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة
سنة ثمانمائة و واحد وعشرون 821هـ².

ولقد بنى بلنسية الرومانيون سنة مائة وثمانية وثلاثون 138 سنة قبل المسيح، وذلك أن
"جونيو بروتس" Brutus بعد موت الثائر "فيرياث" Viriathة أسكن فيها جالة من العساكر القدماء
الذين لبثوا أمناء لرومة، ثم إنّ الأهالي انحازوا إلى "سيرتوريوس" Sertorius سنة خمسة وسبعون 75
بعد المسيح، فاجتاحها "بومبي" Pompée، ثم عادت فازدهرت في زمن أغسطس، وفي سنة أربعمائة
وثلاثة عشرة 413هـ استولى عليها القوط، وفي سنة سبعمائة وأربعة عشرة 714هـ صارت بلنسية
مدينة إسلامية بعد أن فتحها "طارق" هي والمدن التي تجاورها مثل: ساقوننة وشاطبة ودانية، ولم يكن
لها ذلك الشأن في دور "بني أمية"، وقد غلبت عليها وعلى أعمالها العروبة بنزول القيسية فيها و في

¹ المرجع السابق: ص 56.

² شكيب الأمير أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ص 56.

الفصل الثاني دراسة نصية تناصية لنونية أبي البقاء الرندي

أرباضها¹. انطلاقاً مما سبق أنّ الرومانيون قاموا ببناء بلنسية، وصارت مدينة إسلامية في سنة سبعمائة وأربعة عشرة 714 بعد أن فتحها "طارق".

وهكذا استمرت بلنسية طيلة عهد الإسلام من أعظم مراكز العربية في جزيرة الأندلس، على أنه كان يوجد في جبالها بعض قرى بربرية، وكانت بلنسية في زمن "بني أمية" مركز مقاطعة أو كورة، كما قال "المقدسي والرازي وياقوت الحموي"، وكان يقيم بها الوالي من قبل الخليفة الذي في قرطبة ولم تبدأ بأن تكون مركز حكومة مستقلة إلا بعد سقوط الخلافة الأموية، فصارت من ذلك الوقت من أهم أهداف استرداد الإشبانيول للأندلس، وصار لها ذكر عظيم في التواريخ الإسبانية والعربية التي وصلت إلى أيدينا². وعليه فإن بلنسية تعد من أعظم مراكز العربية في جزيرة الأندلس، ثم صارت بيد الإشبانيول بعد أن سقطت الخلافة الأموية.

❖ مُرسية:

مرسية بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها "الأمير عبد الرحمن بن الحكم"، واتخذت دار العمال وقرار الفؤاد، وكان الذي تولى بنائها، وخرج العهد إليه في اتخاذها "جابر بن مالك بن لبيد"، وكان تاريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين، فلما بناها ورد كتاب الأمير "عبد الرحمن علي عامر بن مالك" بخراب مدينة "أله" من المضربة واليمانية، وكان السبب في ذلك أنّ رجلاً من اليمانية استقى من وادي لورقة قلة وأخذ ورقة من "كرم" لرجل من المضربة فغطى بها القلة، فأنكر ذلك "المضري" وقال إنّما فعلت ذلك استخفافاً بي إذ قطعت ورق كرمي، وتفاقم الأمر بينهما حتى تحارب الحيان، وعسكر بعضهم إلى بعض واقتتلا أشد قتال³.

ومرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة وهي راحية أكثر الدهر رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعشاب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وكانت تُصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهلها حذق بصنعتها وتجوديها لا يبلغه

¹ المرجع نفسه: ص 57.

² المرجع السابق: ص نفسها.

³ محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، الطبعة 1، 1975 ص 539.

غيرهم¹. وخلاصة القول أنّ مرسية بناها "الأمير عبد الرحمن بن الحكم"، وبها نهر كبير وجامع جليل وأسواق عامرة، وبها معادن فضة غزيرة.

ومرسية في مستو من الأرض على النهر الأبيض، ولها روض عامر أهل، وعليها وعلى روضها أسوار وحضائر مُتقنة، والماء يشق روضها، وهي على ضفة النهر، ويُجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب تنتقل من موضع إلى موضع، وبها شجر التين كثير ولها حُصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال، ومنها إلى بلنسية خمس مراحل، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل². انطلاقاً مما سبق أنّ مرسية في مُستو الأرض، وبها شجر التين كثير ولها حُصون وقلاع وأقاليم.

❖ قرطبة:

مدينة مشهورة بالأندلس، كانت مُستقر الخلافة أيام الأمويين، وكان لها المكان الأول في تاريخ الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي³، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي، وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة فيها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات⁴. نستنتج مما سبق أن قرطبة هي قاعدة الأندلس ومُستقر خلافة الأمويين بها، فنجد فيها من العلماء وأعيان الناس الذين اشتهروا بصحة المذهب وعلو الهمة والأخلاق الحميدة، وكذا تجارها، وهي مدينة زاخرة بالخيرات.

وبها الجامع المشهور جامع قرطبة، كبير مساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة واتقان بنية، تهتم به الخلفاء المرابطون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميماً إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف وليس في مساجد المسلمين مثله تنميماً وطولاً وعرضاً⁵.

¹ المرجع نفسه: ص نفسها.

² المرجع السابق: ص 539 – 540.

³ ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية لبنان-بيروت، الطبعة 3، 1971م، ص 34.

⁴ محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 456.

⁵ المرجع نفسه: ص 456 – 457.

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ قرطبة كان فيها أعظم جامع، والمشهور بإتقانه وجماله الذي لا يعد له مثيل طولاً وعرضاً.

فقد كانت - قرطبة - أم البلاد وواسطة عقد الأندلس، وحتوت من الأكابر من أهل الدنيا والآخرة من الملوك والعلماء والصالحين والمفتين وغيرهم خلقاً ومتّعوا فيها ما أراد الله عزّ وجلّ وذلك حين كان جدّها صاعداً، وبعد ذلك طحنتها النوائب واعتورتها المصائب وتوالت عليها الشدائد والأحداث فلم يبق من أهلها إلاّ البشر اليسير على كبر اسمها وضخامة حالها فلما عثر جدّها، وخوى نجمها، وضعف أمر الإسلام واختلت بالجزيرة كلمته، تغلب عليها النصارى، وحكموا عليها وذلك في أواخر شوال من سنة ستمائة وثلاثة وثلاثين¹ 633. نخلص مما سبق أنّ مدينة قرطبة كانت أم البلاد فيها الملوك والعلماء والصالحين، وذلك عندما ما كان جدّها صاعداً فلما تدهور سقط نجمها وضعف أمر الإسلام، وبالتالي تغلب عليها النصارى.

❖ جِيَان:

مدينة بالأندلس، وهي كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار، كثيرة اللحوم والعسل ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغللات القمح والشعير وسائر الحبوب، وبها مسجد جامع وعلماء جُلّة². ويلاحظ أنّ جيان مدينة تقع في الأندلس، وهي غنية بالخيرات.

وجيآن في سفح جبل عال جدا وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة، ومن غرّ المدن وشريف البقاع، وفي داخلها عُيون وينايع مُطرّدة، ولها بركة كبيرة عليها كان حمام الثور فيه صورة ثور من زُحام وحمام الولد وهما للسلطان، ومن عيونها عين البلاط عليها قبو للأول وماؤها لا ينقص في زمان من الأزمان...، والأرحاء الطاحنة على أبواب المنازل بجيان والجنات بظهور البيوت، وجامع جيآن مشرف وهو من بناء الإمام "عبد الرحمن بن الحكم" على يد مسرة عامل جيآن³. نستنتج

¹ محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 485 - 459.

² المرجع نفسه: ص 183.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

مما سبق أن مدينة جيان هي من غرّ المدن و شريف البقاع، كما أنّ لها عُيون و ينابيع كثيرة، وكذلك معروفة بكثرة حَمَاماتها كحمام الثور و حمام الولد.

ولكورة جيان أقاليم عدة ولها أسواق كثيرة، وكورتها من أشرف الكور، فهي أشبه بكورة البيرة في طيب بُقعتها ووفور غلتها و رفع بذرها وكثرة خيرها، وكذا لها أقاليم كثيرة وُقرى عامرة وعمائر واسعة. ومن جيان الحافظ "أبو علي الجياني الإمام الضابط"، وأنشد بعض أهل جيان عند الخروج منها بتغلب العدو عليها:

أودُّعُكُمْ وَ أودُّعُكُمْ جَنَانِي * وَ أَنُشِرُ عِبْرَتِي نَشْرَ الْجَمَانِ
وَ إِنِّي لَا أُرِيدُ لَكُمْ فِرَاقًا * وَ لَكِنْ هَكَذَا حَكَمَ الزَّمَانُ¹

نلاحظ أنّ جيان فيها أسواق كثيرة، المعروفة بطيب بُقعتها و وفور غلتها وكثرة خيرها، كما لها أقاليم كثيرة وعمائر واسعة، فهي مدينة مليئة بالخيرات.

❖ شاطبة:

هي مدينة بالأندلس، مدينة جلييلة مُتقنة حصينة لها قصبستان ممتعتان، وهي كريمة البُقعة، كثيرة الثمرة، عظيمة الفائدة، طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، ويعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض بعمم المشرق و المغرب².

فيها ببيان قديم من عمل الأول يقولون له الصنم، وفيه يقول شاعرهم:

بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا الرُّومِ مُعْجَبَةٌ * أَبْدَى البُنَاةُ لَنَا مِنْ أَمْرِهَا حَكْمًا
لَمْ تَدْرَ مَا أَضْمَرُوا فِيهَا سِوَى أُمِّمٍ * مِنَ الأَوَائِلِ سَمُوهُ لَنَا صَنَمًا
كَالمُبَرِّدِ القَدِّ مَا أَخْطَأَ مَشْبَهُهُ * حَقًّا لَقَدْ بَرَدَ الأَيَّامُ وَ الأُمَمَا³

و هي حاضرة أهلة بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي⁴.

¹ محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 183-184.

² المرجع نفسه: ص 337.

³ المرجع نفسه: ص نفسها.

⁴ المرجع نفسه، ص 337.

نستخلص مما سبق أنّ شاطبة هي مدينة بالأندلس حصينة، كريمة البُتعة، كثيرة الثمار، كما لها جامع ومساجد كثيرة.

وقد وظف هذه المدن ليشير من خلالها إلى حضارة المسلمين في الفترة التي حكموا فيها الأندلس، فقد كانت منارات إشعاعية للحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يشير إلى حسرتهم وحزנם لضياح هذه المدن الحضارية بسبب اللّهو والمجون الذي انغمس فيه ملوك الأندلس وبسبب الخلاف الذي دبّ بينهم.

2- التناص الشعري:

لقد تناصّت القصيدة التي نحن بصدد دراستها مع نص قصيدة نونية "البستي"، وقد تجلّى ذلك في الأبيات التالية:

يقول الشاعر "أبي الفتح البستي":

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانٌ *** وَ رِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ حُسْرَانٌ¹

يقول "الرندي":

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانٌ *** فَلَا يُعْرَ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانٌ²

يقول "البستي":

لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا *** مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانٌ³

يقول "أبي البقاء الرندي":

هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولٌ *** مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانٌ⁴

يقول الشاعر "البستي":

¹ هيام عبد الكريم المعمرى: سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص 72.

² أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 487.

³ هيام عبد الكريم المعمرى: سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي، ص 72.

⁴ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 487.

يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالْعِزِّ سَاعِدَهُ *** إِنَّ كُنْتَ فِي سِنَةِ الدَّهْرِ يَقْظَانُ¹

يقول "الرندي":

يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ *** إِنَّ كُنْتَ فِي سِنَةِ الدَّهْرِ يَقْظَانُ²

فمن خلال قراءة أبيات الشاعر نُلاحظ أن قصيدة "الرندي" تلتقي مع نونية "الbstي" في المعاني والاستهلال والقافية، وفي بعض الأبيات.

3-التناس الديني:

وظّف الشاعر في قصيدته بعض الشخصيات والأنبياء التي ذُكرت في القرآن الكريم مثل: "قارون" وكذلك النبيّ "سليمان" عليه السلام، فمن المعروف أنّ "سليمان" كان نبيّاً وهو ابن سيدنا "داوود" عليهما السلام، وهو أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله عزّ وجل إلى بني إسرائيل، وقد كان لسيدنا "سليمان" عليه السلام مُلكاً عظيماً لم يُؤت لأحدٍ من قبله، ولا من بعده، وقد ورث الملك عن أبيه، لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾³، وكان سيدنا "سليمان" عليه السلام فطناً وذكياً يحسن التدبير منذ الصّغر، فكان له سعةٌ في العلم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴، فقد كان سيدنا "داوود" عليه السلام يُشاوره في كل الأمور رغم صِغر سنّه، ومن أمثلة ذلك قصّته المشهورة التي جاءت عن حُكم سيدنا "داوود" والحُكم الذي اقترحه سيدنا "سليمان" عليه السلام على والده في قصة الزرع الذي أكلته الغنم حيث تدور القصة حول أرضٍ يملكها قومٌ فيها زرع، وقد أكلتها غنم قومٍ أخرى، فاختصموا

¹ هيام عبد الكريم المعمرى: سيمياء التناس في نونية أبي البقاء الرندي، ص 72.

² أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 488.

³ سورة النمل: الآية 16.

⁴ سورة النمل: الآية 15.

فكانحكم سيدنا "داوود" بأن يأخذ صاحب الأرض الغنم، إلا أن حكم "سليمان" كان بأن يأخذ صاحب الغنم الأرض فيصلحها ثم يأخذ كل واحد منهما ما كان له من قبل، فهذه القصة تُبين لنا مدى حكمة سيدنا "سليمان" و فطنته عليه السلام.

أمّا "قارون" فقد كان من بني إسرائيل من قوم موسعليه السلام، وقد رزقه الله تعالى سعةً في الرزق وكثرة في الأموال، حتّى إن مفاتيح صناديق كنوزه كان يحملها مجموعة من الرجال الأقوياء لشدة ثقلها، فقد كان يعيش بين قومه عيشة الترف واللّهو، وكان يلبس أفخر الملابس، ويتزين ويسكن القصور، ويتمتع بملذّات الحياة الدنيا، ولكنّه لم يكن عبدًا شكورًا لِنِعَمِ الله تعالى عليه، وإنما كانت صفاته البغي والتكبر، فطغى على قومه، وكان يفتخر بما أتاه الله من المال والعلم يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾¹ ، فقام العلماء والحكماء ونهوه عن بغيه وعدم الاغترار بنفسه والابتعاد عن الفساد وانفاق المال في موضعه- بما يُرضي الله تعالى- يقول الله عزّ وجل: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾² ، إلا أنّه لم يمتثل لنصيحة الحكماء له وقال لهم أنّ هذا الرزق والمال اكتسبه بعلمه وفضله ونسي أنّ الله سبحانه وتعالى هو من يرزق من يشاء بغير حساب، لقوله عزّ وجل: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾³ ، فأخذ الله بعذاب شديد، وهو أنّ الأرض ابتلعت "قارون" وكلّ أتباعه المفسدين، وبالتالي ندم من كان يتمنى ملكه ورزقه، وشكروا الله عزّ وجل على نِعَمِهِ التي منحهم إياها.

¹ سورة القصص: الآية 76.

² سورة القصص: الآية 77.

³ سورة القصص: الآية 78.

فهاتان الشخصيتان كانت لها دلالات داخل نسيج النص الشعري، فالشاعر عندما ذكرها داخل نصه، كأنه أراد أن يقول: إنما الملوك الذين حكموا الأندلس كان لديهم مثل الملك الذي كان لسيدنا "سليمان" عليه السلام إضافة إلى أنهم كانوا يشبهون "قارون" في تصرفاته وسلوكه، ولم يستمعوا إلى نصائح العقلاء مثله فضيَّعوا الوطن.

إضافة إلى ذلك ما حدث مع "عاد" قوم نبينا "هود" عليه السلام، والذين كانوا يعبدون الأصنام فلما أرسل الله إليهم نبيا من عنده يدعوهم لعبادة الله عزَّ وجل وعدم الشرك به استهزؤوا به ولم يؤمن بالله تعالى إلا قليلا لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾¹، فأرسل الله عليهم العذاب من السماء، ريحا صرصرا أهلكتهم جميعا ما عدا نبي الله "هود" عليه السلام والذين آمنوا معه، لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾²، فهنا قوم "عاد" لم يستمعوا لسيدنا "هود" عليه السلام ولم يأخذوا بدعوته فكان مصيرهم الهلاك كما وقع لملوك الأندلس عندما تركوا نصائح العلماء والحكماء، والتَهَوُّوا بالتَّرَفِ، والمجون، واللَّهُو.

نتقل إلى أهم حدث تاريخي وظَّفه الشاعر في قصيدته وهو حدث وقع في الإسلام والذي تمثل في غزوة أحد، وقد وقعت هذه المعركة بعدما انهزم المشركون في غزوة بدر الكبرى بعدما ذهبت الكثير من غنائمهم وانقطع طريق التجارة المتدفق إليها، فذهبت الكثير من مؤونتهم، فأراد المشركون أن يسترجعوا مكانتهم أمام القبائل وينتقموا من المسلمين، وكانت غايتهم الأساسية هي القضاء على دعوة الإسلام التي تدعو لتوحيد الله عزَّ وجل.

فخرج الكفار وقد كانوا أكثر من المسلمين في العدد والعتاد فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم 50 خمسون ألف من الجنود الرُّماة بأن يبقوا فوق جبل أحد ويجموهم من ظهورهم. وقد حذَّروهم

¹ سورة فُصِّلَتْ: الآية 15.

² سورة فُصِّلَتْ: الآية 16.

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يتركوا مكانهم سواءً انتصروا أم انهزموا، لكنهم لم يسمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما أحسوا بالنصر نزلوا يقاتلون بجانب النبي صلى الله عليه وسلم، فغدر بهم المشركون من ظهورهم وانهزم المسلمون.

وقد لاحظنا من خلال هذا الحدث التاريخي العظيم الشَّبه الكبير بين ما وقع للمسلمين في غزوة أُحد، وما وقع للمسلمين في الأندلس، فمثلما لم يسمعوا الصحابة لكلام النبي صلى الله عليه وسلم وانهزموا، لم يسمع كذلك مسلمو الأندلس للحكام والعظماء، أهل العلم، وبالتالي هم أيضا سقطت دولتهم بسبب التَّرف، واللَّهو وعدم الأخذ بنصيحة الحكماء لهم.

4-التناص الأسطوري(البطولي):

إنَّ الشخصيات الأسطورية أو ما تعرف بالبطولية هي شخصيات لها وجود في الواقع لكن الذاكرة الشعبية أضفت عليها صبغة البطولة أو الطابع الأسطوري، وقد وظف الشاعر في قصيدته هاته الشخصيات الأسطورية -البطولية- مثل شخصية "سيف بن ذي يزن"، وهو أحد ملوك العرب في ما قبل الإسلام، وقد حكم من قصر غمدان، والذي كان آخر الملوك الذين عاشوا فيه، وقد زاره وفدٌ من أهل قريش، وقد روت السيرة الشعبية الخيالية حكاية "سيف بن ذي يزن"، بأنَّه الملك اليمني الذي طرد الأحباش من اليمن، وهذه السيرة تُخلق بعيدا في الأسطورة، فتُلبسُ الملك "سيف بن ذيين"، لباسًا غير بشري وتجعل أصوله جنيَّة، فأمه إحدى ملكات الجن، وهنا يكمن الطابع الأسطوري، وقد طرد الأحباش من اليمن وتولَّى الملك فيها وقد قام بطردهم بعدما طغوا وتجبروا وأرهقوا أهل اليمن يقول الشاعر :

عَلَى أَبْوَابِ قَيْصَرَ تُذْبِحُ الْأَعْوَامَ

تَسْكُبُ مَاءَ وَجْهِكَ، تَعْلُقُ الْأَعْتَابِ وَالْأَقْدَامَ

وَفِي سَاحَةِ كِسْرَى تَلْفُظُ الْعُمْرَا

وَ تَشْبَعُ زَهْرَهُ شِعْرًا

فَمَا نَبَضَتْ بِقَيْصَرَ رَعِشَةَ الْإِنْسَانِ، أَوْ كِسْرَى

وَلَمْ تَنْهَضْ قَضِيَّتَنَا

وَمَا زَالَ الظَّلَامُ هُنَا¹

فجمع من قومه من استطاع جمعهم، وهزمهم (الأحباش)، وأذهب ربحهم، وبالتالي صار ملكاً وجاءت العرب لتهنته بملكه. إذن هذه الشخصية لها وجود في الواقع ولكن الذاكرة الشعبية أضفت عليها الطابع البطولي أو الأسطوري، وقد وظفها الشاعر في قصيدته لدلالة معينة، وكأنه يقول ليتنا يأتينا بطلا مثل: "سيف بن ذي يزن" و يُنقذ الأندلس من يد الكفار مثلما أنقذ أهل اليمن من الأحباش.

إضافة إلى شخصية "سيف بن ذي يزن" هناك شخصية بطولية أخرى، وهي شخصية "عنترة بن شداد"، وهو من أشهر شعراء العرب على الإطلاق، والذي عاش قبل الإسلام، وقد اشتهر بفروسيته وشجاعته وبطولاته في المعارك وهو صاحب المعلقات، ونجده في أبيات شعرية يتغنى بسيوفه فذكر الرماح فأحسن وصفها وذكر النبال وخفتها، ثم ربط بين هذه الأسلحة ونفسه فقال:

وَسَيْفِي صَارِمٌ قَبَضْتُ عَلَيْهِ *** أَشَاجِعُ لَا تَرَى فِيهَا انْتِشَارًا

وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ وَهُوَ كَمَعِي *** سِلَاحِي لَا أَفَلَّ وَ لَا فُطَارًا

وَكَالْوَرَقِ الْخِفَافِ وَ ذَاتُ غَرْبٍ *** تَرَى فِيهَا عَنِ الشَّرِّعِ اَزْوَرَارًا²

فالشاعر كان شجاعاً بطلاً يتغنى بنفسه وبفروسيته، وكذلك هذه الشخصية لها دلالة معينة في النص، وكأن لسان حال الشاعر يقول: نحن في أمس الحاجة إلى مثل هذه الشخصيات لاسترجاع الأندلس التي ضاعت بين أيدينا بعدما مكثنا فيها أكثر من ثمانية قرون.

وأخيراً يمكن تصنيف النص (نونية أبي البقاء الرندي) ضمن "تناص النفي التطابقي" لأن الشاعر استعان بتاريخ بعض المدن الأندلسية التي سقطت في يد الإسبان، كما وظف بعض الشخصيات البطولية التي لها وجود في الواقع، وبعض الشخصيات الدينية المذكورة في القرآن الكريم.

¹ بشير عبد العالي: التناص في الشعر العربي، ص 215.

² محمد سعيد مولوي: ديوان عنترة، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، المكتب الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1964، ص 82.

خاتمة

لقد توصلنا من خلال دراستنا لموضوع شعر الإستغاثة وتحليلنا لنونية "أبي البقاء الرندي" إلى مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية:

1. أنّ شعر الإستغاثة ظهر في العصر الأندلسي بسبب سقوط الأندلس على يد الإسبان، فحاول الشعراء العرب التعبير على الحزن والأسى الذي أحسوا وشعروا به، وخاصّة أنّ الأندلس كانت مكانا للإسلام والمسلمين وللعلم والمعرفة وهذا قبل سقوطها، ومن بينهم: الشاعر "أبي البقاء الرندي" الذي رثى مدن الأندلس وبكى لحالها من خلال نونيته الشهيرة.
2. لقد عانى المسلمون من ظلم واحتقار الإسبان لهم طيلة ثلاث قرون متواصلة.
3. لقد عبّر الشعراء عن معاناتهم لحال الأندلس "كأبي البقاء الرندي"، و"ابن العسّال"، و"ابن خفاجة".
4. الإستغاثة تعني طلب الغوث والمساعدة، من قبل مسلمي المغرب العربي.
5. إنّ التعريف اللغوي للنصّ في معجم لسان العرب "لابن منظور" دلّ على الرفع وكل ما يوضع على المنصّة.
6. إنّ كلمة Texte أصلها لاتيني وتعني النسيج وهي مقابلة للنص، والنصّ هو كلّ لفظ شفهي أو مكتوب ويوصف بطولٍ معيّن.
7. ظهر مصطلح التّناس عند العرب بما يُعرف بالسرقات الأدبية وشعر النقائض أو تداخل النصوص، ولكن هذه المصطلحات كانت مجرد إرهاصات لظهور مصطلح التّناس.
8. عثرنا أثناء دراستنا لنونية "أبي البقاء الرندي" على أربعة أنواع للتّناس تمثلت في التّناس الديني وغالبا ما يكون من القرآن الكريم، و التّناس التاريخي، و التّناس الأدبي و التّناس الأسطوري.
9. صنّفت الناقدة البلغاريا "جوليا كريستيفا" التّناس إلى ثلاثة أنواع تمثّلت في: تناس النّفي التّام أو التّدميري، تناس النّفي التّمائلي أو التّطابقي، وتناس النّفي الجزئي أو الانفصالي. ويمكن إدراج النص الذي درسناه ضمن "التّناس التّطابقي".

10. "لأبي البقاء الرندي" عدّة مؤلّفات منها ما هو في ميدان الشعر ككتاب: "الوافي في علمالقفافي"، كما له أيضا أعمال نثرية مثل كتاب: "روضة الأُنس ونزهة النَّفس".
11. نظم "أبي البقاء الرندي" في عدّة أغراض كالممدح، الغزل، الوصف، الرثاء. ولكنه اشتهر بشعر الإستغاثة.
12. تُعد نونية "أبي البقاء الرندي" من أشهر ما قيل في غرض الرثاء، وقد نظمها صاحبها بُكاءً على الأندلس ورثاءً لها بعد سقوط معظم مدنها في يد الأعداء.
13. تميّز شعر "أبي البقاء" بالسهولة والبساطة في تصوير المعاناة والمأساة التي حلّت بالأندلس.
14. إنّ القصيدة التي درسناها حافلة بالصور البيانية والمحسنات البديعية، وقد زادت من جمال القصيدة وروعيتها.
15. وفق الشاعر في اختيار الإيقاع المناسب لجو القصيدة، فجاءت قصيدته منظومة على البحر "البسيط" المعروف بطوله والذي فسح المجال للشاعر للتعبير عمّا يجول في نفسه، إضافة لاختياره حرف الروي المتمثل في "النون" والذي يعبر عن حزن الشاعر لما أصاب المسلمون من مأساة كما يبعث في النفس نغماً موسيقياً تُطرب له أذن السّامع.
16. استعان الشاعر في قصيدته بالتناص التاريخي والذي تمثّل في ذكره لمجموعة من المدن الأندلسية التي سقطت في يد الإسبان، إضافة إلى التناص الديني فقد اقتبس من القرآن الكريم بعض القصص كقصة "قارون" وقصة سيّدنا "سليمان" عليه السلام، وقد كان لها حكمة من وراء توظيفها؛ وذلك أنّ ملوك الأندلس لم يأخذوا بنصيحة الحكماء كما فعل "قارون" وبالتالي سقطت، كما وظّف أيضاً التناص الأسطوري والذي تمثّل في شخصية "سيف بن ذي يزن"؛ وكأنّ الشاعر يقول نحن بحاجة لشخصية مثله لتتقد الأندلس من يد الأعداء.
- وفي الأخير نقول إنّ دراسة هذا الموضوع قد عادت إلينا بالفائدة، ونتمنّى أن نكون قد أصبنا في الإلمام بجوانبه، فإن أصبنا فمن الله عزّ وجل، وإن أخطأنا فمن أنفسنا. ويبقى هذا الموضوع مفتوحاً للدراسات وبحوث أخرى.
- والحمدُ لله ربّ العالمين.

المطلق

ملحق: نبذة عن حياة الشاعر أبي البقاء الرندي:

1-نسبه و مولده:

هو صالح بن يزيد بن موسى بن صالح بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفزي من أهل رندة يُكْنَى "أبا الطيب"¹، وقد ذكر بعض المؤرخين أن كنيته "أبو البقاء"، ولد في محرم سنة 601 هـ سبتمبر 1204م، وتوفي سنة 684 هـ، الموافق لسنة 1285م، أي أنه عاش قرابة اثنين وثمانين 82 عاما عاصر فيها أوائل إمارة "محمد الثاني" لقرطبة². وخلاصة القول أن الشاعر "أبي البقاء الرندي" تختلف كنيته بين "أبي البقاء" و "أبو الطيب" وقد عاش 82 عاما رحمه الله.

2-مشيخته:

أما شيوخ "الرندي" فهم من أعلام العصر في فنون مختلفة "فأبو الحسن الدباج" كان من أهل الفضل والصلاح مُقرنا وحدثا ومُتقدما في العربية والآداب ويقرض قطعاً من الشعر يُجيد فيها وكانت وفاته سنة 646 هـ، و"ابن الفخار الشريشي"، كان عارفا بالحديث حافظا للفقهِ والآداب واستقضى برندة والجزيرة الخضراء وتوفي سنة 642 هـ، وبقية شيوخه ممن تحدثت كتب التراجم عنهم بالعلم والفضل والتقدم، ويبدو أن "الرندي" تلقى علومه واستكمل ثقافته في مدينة رندة حتى عرف له معاصر وفضله ومكانته³. نستنتج ممَّا سبق أنَّ الشاعر "أبي البقاء" قد تتلمذ على يد عدة شيوخ من فنون مختلفة من بينهم "أبو الحسن الدباج" و "ابن الفخار الشريشي" و أكمل "الرندي" علمه وثقافته في مدينة رندة .

3-مؤلفاته:

"لأبي البقاء الرندي" عدة مؤلفات من بينها:

(أ) في مجال الشعر:

¹لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقّق نصّه ووضع مقدّمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، مجلد3، القاهرة 1975م، ص360.

² بوعلام رزيق: الخصائص الأسلوبية في نونية أبي البقاء الرندي، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير، سنة 2012، ص01.

³ زياد طارق لفتة: أبو البقاء الرندي حياته و شعره، كلية التربية للبنات، العدد 7، السنة الرابعة 2017، الجزء الأول، ص333.

فقد ألف جزءًا على حديث جبريل وتصنيفًا في الفريضة وأعمالها، وآخر في العروض، وآخر في صنعة الشعر سمّاه: "الوافي في علم القوافي"¹.

(ب) في مجال النثر:

له كتاب: "الوافي في نظم القوافي"؛ وهو كتاب يجمع بين التّقد والبلاغة، وشيء من الأخبار الأدبية الأندلسية، وطائفة من شعر المؤلّف، وهو أربعة أجزاء². ومن مؤلّفاته أيضًا كتاب كبير سمّاه: "روضة الأنس ونزهة النّفس"³.

نستنتج ممّا سبق أنّ للشاعر أبي البقاء الرندي العديد من المؤلّفات في ميدان الشّعر منها: الوافي في علم القوافي، كما له كتب في ميدان النثر: كروضة الأنس ونزهة النّفس.

4- شعره:

يعد "أبو البقاء الرندي" رحمه الله من أشهر شعراء في الأندلس، فقد كان سهل المأخذ، عذب اللفظ رائق المعنى، فمن ذلك قوله في غرض المدح من السلطانيات:

سَرَى وَ الْحُبُّ أَمْرٌ لَا يُرَامُ *** وَ قَدْ أَغْرَى بِهِ الشَّوْقُ وَ الْغَرَامُ
وَ أَغْفَى أَهْلَهَا إِلَّا وَشَاءُ *** إِذَا نَامَ الْحَوَادِثُ لَا تَنَامُ
وَ مَا أَحْفَى بَيْنَ الْقَوْمِ إِلَّا *** وَ رَبِّمَا نَفَعُ السَّقَامُ⁴

ومن شعره أيضًا في المقطوعات:

وَلَيْلَةٌ قُصِّرَ مِنْ طُولِهَا *** بِزُورَةٍ مِنْ رَشَا نَافِرُ
أَسْتَوْفَرَ الدَّهْرُ بِهَا غَالِطًا *** فَأُدْغِمَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ⁵

وفي الصّبر:

الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ *** لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدْبِرُ

¹ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص360-361.

² أبو الوفا حمادة عطيفي: الاستغاثة في الشعر الأندلسي، ص713.

³ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص361.

⁴ المصدر نفسه، ص361-362.

⁵ المصدر نفسه: ص366.

فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ** فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا بَصِيرُ¹

5- نشاطه العلمي:

تلقى "أبو البقاء" العلم والمعرفة على أبيه، وعلى نفر من العلماء الآخرين منهم: "أبو الحسن الدباج"، "ابن الفخار"، و"ابن قطرال"، و"أبو الحسن بن زرقون"، و"أبو القاسم بن الجدد التونسي" وكان كثير التردد على غرناطة، كما أنه أقام حيناً في مالقة، وكان من العلماء البارزين والأدباء المشهورين في عصره، وكان حافظاً للحديث الشريف، فقيهاً وفرضياً، وله علم بالحساب وكان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره، فقيهاً، حافظاً، فرضياً، متفنناً في معارف شتى، نبيل المقاصد متواضعاً، مقتصرًا في أحواله وله مقامات بديعة في أغراض شتى². نستنتج ممَّا سبق أنَّ "الرندي" قد تلقى تعليمه على يد أبيه ومجموعة من المشايخ من بينهم: "أبو الحسن الدباج"، "ابن الفخار"، و"ابن قطرال" وغيرهم، كما كان من أشهر أدباء عصره، إضافة إلى أنه كان حافظاً للحديث الشريف، وفتياً له علم بالحساب ويعد خاتمة الأدباء في الأندلس.

6- أغراض الشعر:

يعد "أبي البقاء الرندي" من أشهر أدباء الأندلس، نظم قصائد في شتى الأغراض، ومن أبرز أغراضه الشعرية نذكر:

أ) المدح:

يبرز غرض المدح في شعره أَوْفَرَهُ إنتاجه فيه وارتباطه مدة طويلة بالبلاط النصرى فهو اتصل بالأمير الأول "محمد بن يوسف" (ت 671)، وبابنه "محمد الفقيه" (ت 701)، فمدحها وتردد على غرناطة طويلاً في عهدهما و يتناول شعر المدح عنده القيام بمهمة شاعر البلاط الذي لا يغادر مناسبة دون أن يقول فيها شعراً ملائماً³. نستنتج مما سبق أن غرض المدح عند "أبي البقاء الرندي" كان بمثابة مهمة شاعر البلاط الذي لا يغادر مناسبة ما دون أن ينشد شعره فيها.

¹ المصدر السابق: ص 372.

² أبو الوفا حماد عطيفي: الإستغاثة في الشعر الأندلسي، ص 711 - 712.

³ زياد طارق لفتة: أبو البقاء الرندي حياته و شعره، ص 335.

وقد أنشد قصيدته لما بُويع بالحضرة النصرية بولاية العهد الأمير المعظم أمير المسلمين أيده الله واقتزن بذلك مولد ابنه الأمير المعظم أسعده الله، وقدم لها بمطلع غزلي رائع ومن المدح في قوله:

يَا يَوْمَ سَعِدَ كَأَنَّ الْعِيدَ عَادَ بِهِ *** وَالنَّاسُ فِي مَرِحٍ وَالدَّهْرُ فِي جَدَلٍ
شَهْدَتُهُ فَرَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ بَهَرَتْ *** وَالشَّمْسُ قَدْ سَتَرَتْ وَجْهًا مِنَ الْخَجَلِ
وَ يَتَجَلَّى غُرَّةً بِالْبَشْرِ مُشْرِفَةً *** كَمَا تَجَلَّتْ إِيَّاهُ الشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ¹

نلاحظ ممَّا سبق أنَّ "الرندي" قد أنشد قصيدته بمناسبة بيعة الأمير المعظم أمير المسلمين بالحضرة النصرية بولاية العهد.

(ب) الغزل:

يشغل الغزل حيِّزًا واسعًا في شعره، فهو أفرد له القصائد والمقطوعات وجعله استهلالًا لبعض الأغراض الأخرى، وبخاصة منها المدح، ونلاحظ في شعره الغزلي أنه شاعر مقتدر على تناول الموضوع خبير بالمعاني الغزلية مستحضر للألفاظ المناسبة الملائمة، ولا يخفى ما في شعره من لمسات إنسانية عميقة وقدرة مكينه على التغلغل إلى الأعماق، فمن شعره الغزلي قوله:

قَطَعَ قَلْبِي بِصَدِّهِ قَطْعًا *** وَ إِنَّمَا ضَرَّ وَ مَا انْتَفَعَا
وَ مَرَّ عَنِّي كَمَا شَكُوتُ لَهُ *** كَأَنَّهُ مَا رَأَهُ وَ مَا سَمِعَا
يَا لَيْتَ قَلْبِي الَّذِي وَهَبْتُ لَهُ *** يَرْجِعُ لِي الْيَوْمَ كَيْفَمَا رَجَعَا²

وخلاصة القول أنَّ غرض الغزل قد حُظي بمكانة عالية في شعر "الرندي"، فكان شاعرا مقتدرا له القدرة على التصوير العميق والتغلغل إلى عمق الشيء، فاستخدم بذلك الألفاظ والمعاني الدقيقة والمناسبة للموضوع.

(ج) الوصف:

¹ المرجع السابق: صنفها.

² زياد طارق لفتة: أبو البقاء الرندي حياته وشعره، ص 336.

يشيع موضوع الوصف في شعر "الرندي"، فقد اهتم شاعرنا بهذا الموضوع وأحلّه منزلة مهمة

في القصيدة، فهو في إثناء القصيدة يقدم أوصافاً ملائمة جارية مع نسقها أو مستطردة، بينما نجد في المقطعات أكثر حرية في تناول الموضوع الذي يجب، أما وصف الطبيعة الأندلسية والغرناطية بخاصة فأمر يشيع في شعره كله في المطولات وفي المقطعات، ويتبع ذلك ما كان من وصف الأزهار والثمار والخمرة والسفن والليل، من ذلك قوله في وصف السفن في البحر:

سَفَائِنٌ تَسْبَحُ فِي لُجَّةٍ *** كَأَنَّهَا صَفْوَانٌ تَلْعَبُ

إِذَا جَرَى مِنْ خَلْفِهِ مَلْحَمًا *** فَلَا حَقَّ لِعَيْتِهِ يُنْسَبُ¹

وعليه فإنّ غرض الوصف قد أحلّه "الرندي"، منزلة و مكانة مهمة في القصيدة، فهو يستخدم أوصافاً عميقة تتناسب مع موضوعات القصيدة، جارية مع نسقها.

(د) الرثاء:

لقد احتلّ غرض الرثاء مكانة عالية في الشعر الأندلسي، وخاصة في شعر "أبي البقاء الرندي" وذلك لما حلّ ببلاد الأندلس من دمار وخراب فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من غرض الرثاء ولعل أشهر قصيدة اشتهر بها "الرندي" وكان لها صدى كبير وتأثير قوي في الساحة الأدبية أبدع من خلالها وفاقّت أشعار كثيرة قصيدة "النونية":

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ * فَلَا يُغَرَّرُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُؤْلُ * مِنْ سَرَّهَ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ * وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتَّمَا كُلَّ سَابِغَةٍ * إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتٌ وَحُرْصَانُ

وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ * كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ

أَيْنَ الْمُلُوكِ ذُؤُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ * وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتَيْجَانُ¹

¹ المرجع السابق: ص 338.

وهي مرثية شهيرة رثى فيها "الرندي" معظم المدن الأندلسية التي سقطت في عصره مثل: قرطبة جيان، وشاطبة ومرسية، وبلنسية وإشبيلية، وقد نظمها "الرندي" حيث تنازل "ابن الأحمر" عن شريش وبعض الحصون الأخرى للنصارى².

نستخلص من خلال ما تقدم أن نونية "الرندي" من أجمل ما قيل في غرض الرثاء، وقد نظمها الشاعر عندما قام "ابن الأحمر" بالتنازل عن عدد من القلاع للنصارى.

ملحق رقم 2: نص القصيدة

وتحتوي القصيدة التي نحن بصدد دراستها على اثنين وأربعين 42 بيتا:³

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ * فَلَا يُغَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
 هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دَوْلُ * مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
 وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ * وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
 يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِعَةٍ * إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ
 وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ * كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ
 أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ * وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيْجَانُ
 وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرِمٍ * وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
 وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونٌ مِنْ ذَهَبٍ * وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ * حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
 وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ * كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانُ
 دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ * وَأُمُّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
 كَأَنَّهَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ * يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

¹ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 487.

² فوزي عيسى: الأدب الأندلسي النثر، الشعر، الموشحات، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2011، ص 121 - 122.

³ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 487 و 488.

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ * وَلِلزَّمَانِ مَسَرَاتٌ وَأَحْزَانُ
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يُسَهِّلُهَا * وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلَامِ سُلُوكُ
 دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ * هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنهَدَ تَهْلَانُ
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الإِسْلَامِ فَامْتَحَنَتْ * حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
 فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ * وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَّانُ
 وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ الْعُلُومِ، فَكَمْ * مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
 وَأَيْنَ حِمَصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزِهِ * وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَانُ
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا * عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
 تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ أَسْفٍ * كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَةٍ * قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا * فِيهِنَّ إِلا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
 حَتَّى الْمَحَارِبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ * حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ
 يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ * إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَقْطَانُ
 وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ * أَبْعَدَ حِمَصٍ تَعْرُ الْمَرْءُ أَوْطَانُ
 تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا * وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
 يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً * كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ
 وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً * كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ النَّفْعِ نِيرَانُ
 وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَا * لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
 أَعْنِدْكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ * فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
 كَمْ يَسْتَعِثُّ بِنَا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ * قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
 مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ * وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ

أَلَا نُفُوسٌ أَيْبَاتٌ لَهَا هِمَمٌ * أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
 يَا مَنْ لَذَّةُ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ * أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
 بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ * وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
 فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ * عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ
 وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمُ عِنْدَ بَيْعِهِمْ * لَهَالِكِ الْأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
 يَا رَبَّ أُمَّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا * كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ
 وَطِفْلَةٌ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ * كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
 يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً * وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
 لِمِثْلِ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ * إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع

ثانياً: المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم بن المدبر: الرسالة العذراء، الطبعة 1، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1931.
- 2- ابن الآبار القضاعي: الديوان، قراءة وتعليق: عبد السلام العراس.
- 3- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة 1، 1998.
- 4- ابن خفاجة: الديوان، (د، ط) القاهرة، 1960، نقلاً عن: عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، منشورات دار المشرق بيروت.
- 5- ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية لبنان- بيروت الطبعة 3، 1971.
- 6- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، الطبعة 1، المجلد 2، دار صادر بيروت، 1990.
- 7- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت، الطبعة 2 1969.
- 8- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.
- 9- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: إحسان عباس المجلد 4، دار صادر بيروت 1968.
- 10- أحمد ناهم: التناص في شعر الرواد دراسة، سلسلة رسائل جامعية بغداد - الطبعة 1، 2004.
- 12- إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في الجموع، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة 1، 2004.
- 13- حمادة أبو الوفا عطيفي: الإستغاثة في الشعر الأندلسي، (د، ط)، (د، ت).
- 15- شكيب الأمير أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، الجزء الثالث.

- 16- ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، دار المعارف.
- 17- عبد العزيز عتيق: علم البديع في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت.
- 18- عبد الفتاح داود كاك: التناص دراسة نقدية في التأصيل نشأة المصطلح ومقارنته ببعض القضايا النقدية القديمة، "دراسة وصفية تحليلية"، 2015.
- 19- عبد المطلب: الجديد في الأدب، السنة الثانية من التعليم الثانوي، جميع الشعب، قواعد، بلاغة نقد أدبي وعروض، دار شريفة 2006.
- 20- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، باب النون.
- 21- عمر الدقاق: ملامح الشعر الأندلسي، منشورات دار المشرق بيروت.
- 22- فوزي عيسى: الأدب الأندلسي النثر، الشعر، الموشحات، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 2011.
- 23- لسان الدين بن الخطيب التلمساني: الديوان، حققه: محمد مفتاح، المجلد 1، دار الثقافة.
- 24- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصّه ووضع مقدّمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، مجلد3، القاهرة، 1975.
- 25- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم الناشر من منشورات الإختلاف.
- 26- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، 1975.
- 27- محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان.
- 28- محمد سعيد مولوي: ديوان عنتره، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، المكتب الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1964.

29-مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع منشأة الإسكندرية 1991.

30-ميخائيل باخثين، تودوروف ترفيتان:المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، الطبعة 2، سنة 1996، <http://libary4arab.com/vb>.

ثالثا: المجالات والدوريات:

1-الأحمد، نحلة: ما هو النص؟المعرفة: مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد 451، أبريل 2001، نقلا عن: محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم الناشر، منشورات الاختلاف.

2-الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قرمات: تحديد مفهوم النص، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018، جامعة تلمسان،المقال مأخوذ من موقع: Asjp.cerist.dz.

3-خليل الموسى: النص لغة واصطلاحا، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 823، الصفحة 20 نقلا عن: الأستاذ الدكتور: بشير عبد العالي، طالبة دكتوراه: منزلة قرمات: تحديد مفهوم النص، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018، جامعة تلمسان.

4-زياد طارق لفته: أبو البقاء الرندي حياته وشعره، كلية التربية للبنات، العدد7، السنة الرابعة 2017، الجزء الأول.

5-عبد السميع موفق: تفاعل البنى في نونية أبي البقاء الرندي مقارنة أسلوبية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة بجاية، العدد الخامس 2013.

6-هيام عبد الكريم المعمرى: سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد 2، السنة 11، ديسمبر 2019.

رابعا: الرسائل الجامعية:

المصادر والمراجع

1- بشير عبد العالي: التناص في الشعر العربي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في الأدب الحديث، جامعة تلمسان، سنة: 2001.

2- بوعلام رزيق: الخصائص الأسلوبية في نونية أبي البقاء الرندي، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير، سنة : 2012.

3- كلثوم حشاني: التناص في مقالات البشير الإبراهيمي (المقالة الدينية والاجتماعية والسياسية)- عينة، مذكرة تخرج من متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية، تخصص: لسانيات عامة، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة.

خامسا: مواقع الأنترنت:

1- الشيخ ناصر بن سليمان العمر: سقوط الأندلس دروس وعبر، مقال إلكتروني مدون في موقع www.almoslim.net

2- الموقع الإلكتروني للمعلوماتية، القدس www.alquds.co.uk

3- المرجع الإلكتروني للمعلوماتية www.almerja.com./reading

4- الموقع الإلكتروني للمعلوماتية، Ajdawer.blogspot.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
2	مدخل: شعر الاستغاثة في العصر الأندلسي:
2	أولا: الأندلس:
2	1- سقوط الأندلس:
4	2- أسباب سقوط الأندلس:
7	ثانيا: شعر الإستهائة في العصر الأندلسي:
7	1- معنى الإستهائة:
8	2- دوافعها:
11	3- الخصائص العامة لشعر الإستهائة في الأدب الأندلسي:
12	4- العوامل المؤثرة في نشأة الشعر الأندلسي:
19	5- نماذج من شعر الإستهائة في الأدب الأندلسي:
19	أ- أبي البقاء الرندي:
20	ب- ابن الآبار القضاعي:
20	ج) ابن خفاجة:
21	د) ابن العسال:
23	الفصل الأول: ضبط المصطلحات
23	المبحث الأول: شعر الإستهائة

23	المبحث الثاني: مفهوم النص
23	أ) لغة:
23	ب) اصطلاحًا:
24	ج) في التراث العربي:
25	2- مفهوم النص عند الغربيين:
25	أ) المعنى الاشتقاقي:
27	المبحث الثالث: التناص
29	1- التعريف الاصطلاحي للتناص عند العرب:
30	2- التناص في الأدب الأوروبي:
32	3- التعريف الاصطلاحي للتناص عند الغرب:
33	4- أشكال التناص:
34	5- أنواع التناص:
34	أ) التناص الديني:
34	ب) التناص التاريخي:
34	ج) التناص الأدبي:
35	د) التناص الأسطوري:
35	6- موقف النقد المعاصر:
36	7- ظهوره كمصطلح:
36	8- أصنافه (حسب حالة المبدع):

- 9- تصنيف التناص عند "جوليا كريستيفا": 37
- أ) تناص النَّفي التَّام أو التَّدْمِيرِي Negation Totale 37
- ب) تناص النَّفي التَّمَاثِلِي أو التَّطَابِقِي Negation Symetrique 37
- ج) تناص النَّفي الجِزْئِي أو الإِنْفِصَالِي Negation Partielle 37
- الفصل الثاني: دراسة نصية تناصية لنونية أبي البقاء الرندي 24
- 1- توطئة: 39
- 2- مناسبة القصيدة: 39
- المبحث الأول: الدراسة النصية للقصيدة: 39
- 1- المعجم الشعري: 39
- 2- مرحلة فهم القصيدة: 40
- 3- من حيث المضمون: 40
- 4- من حيث الشكل: 41
- أ) الألفاظ 41
- ب) العبارات 42
- ج) المعاني 42
- 5- المحسنات البديعية: 42
- أ) الطباق: 42
- ب) المقابلة: 43
- ج) التصريح: 43

- 43 6- الصور البيانية:
- 44 أ) التشبيه:
- 44 ب) الكناية:
- 45 ج) الاستعارة:
- 45 7- الوزن والإيقاع:
- 45 أ) الإيقاع:
- 46 ب) الوزن:
- 47 ج) القافية:
- 47 المبحث الثاني: دراسة تناسية للقصيدة:
- 47 1- التناس التاريخي (تناس المدن):
- 54 2- التناس الشعري:
- 55 3- التناس الديني:
- 58 4- التناس الأسطوري (البطولي):
- 62 خاتمة
- 64 ملحق: نبذة عن حياة الشاعر أبي البقاء الرندي:
- 64 1- نسبه و مولده:
- 64 2- مشيخته:
- 64 3- مؤلفاته:
- 66 5- نشاطه العلمي:

66.....6-أغراض الشعر:

69.....ملحق رقم 2: نص القصيدة

73.....قائمة المصادر والمراجع

78.....فهرس الموضوعات

الملخص :

ظهر شعر الاستغاثة في الأندلس بعدما استولى عليها الإسبان المسيحيون وسقطت يديهم مما دفع العديد من الشعراء إلى نظم شعر الاستغاثة، والذي ارتبط أساسا لغوث وطلب التّجدة ومن بين هؤلاء الشعراء " أبي البقاء الرندي"، الذي حاول التعبير من خلال شعره عن الأسى والحزن الذي عانى منه المسلمون في إسبانيا بسبب الحالة الأليمة التي أصبحت عليها الأندلس. لقد رثى " أبي البقاء الرندي" في نونته المدن التي سقطت بيد الإسبان واستغاث فيها وطلب التّجدة من مسلمي المغرب العربي. وتعدّ تلك القصيدة من أروع القصائد لأن أسلوبها سهل وبسيط. وقد حاولنا في مذكرتنا دراسة هذه القصيدة دراسة نصّية تناصّية . الكلمات المفتاحية: شعر، الإستغاثة، الأندلس، نونية، أبي البقاء الرندي، النص، التناص.

Summary :

Distress poetry appeared in Andalusia soon after it was taken over and became under the Christian Spanish rule. The new Andalusia situation prompted many poets to arrange and write distress poetry, which mainly aimed at inspiring relief and seeking help. Notably Abi El Bakaâ Randi who tried to express through his poems Muslims' great sorrow in Spain and the painful situation Andalusia witnessed.

In his Nunea, Abi El Bakaâ Randi eulogised the cities, that fell under the Spanish control and supremacy, and begged for help from the Muslims of Maghreb. This is, in fact, one of the most wonderful poems due to its style, Simplicity and ease.

In our research work, we try to study this poem textually (i.e. textual study)(textual analysis)

Key words : Poetry, Distress, Andalusia, Nunea, Abi El Bakaâ Randi, Text, Dissanance.

Résumé:

La poésie de détresse apparut en Andalousie peu de temps après sa conquête et devint sous la domination chrétienne espagnole. La nouvelle situation andalouse poussa de nombreux poètes à organiser et à écrire des poèmes de détresse, qui visaient principalement à inspirer le soulagement et à chercher de l'aide, Notamment Abi El bakaa Randi qui a essayé d'exprimer à travers ses poèmes musulmans une grande tristesse en Espagne et la situation douloureuse dont l'Andalousie a été témoin.

Dans son Nunea Abi El bakaa Randi, les villes tombaient sous le contrôle et la suprématie espagnoles et demandaient l'aide des musulmans du Maghreb, c'est en fait l'un des poèmes les plus merveilleux en raison de son style, de sa simplicité et de sa facilité.

Dans notre travail de recherche, nous essayons d'étudier le poème textuellement (étude textuelle) (analyse textuelle).

Mots-clés : Poésie, Détresse, Andalousie, Nunea, Abi El bakaa Randi, Texte, Dissanance.